

الحكمة في الدعوة إلى الله ﷻ تعريف وتطبيق

تأليف

د. زيد بن عبد الكريم الزيد

مصدر هذه المادة :







تمهيد في أهمية الموضوع وسبب اختياره ومخطَّط البحث

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل الله فلا هادي له، وأشهد أن لا إلـــه إلا الله وحـــده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمدًا عبده ورسوله، صـــلى الله عليـــه وسلم تسليمًا كثيرًا .. أما بعد:

فإن موضوع الحكمة في الدعوة إلى الله جوهرٌ ثمـــينٌ في هـــذا الميدان، وعلى قدر الفقه فيه تتجاوب النفوس وتتفاعل؛ فكم ممـــن يحمل فكرًا نقيًّا سليمًا أضاعه في طرق ملتوية متشعبة، لم يـــتمكن فيها أن يجمع هذا الفكر ليوصله إلي مستمعيه، وعندما يرى النـــاس ذلك منه يسبق منهم إساءة الظن قبل إحسانه، فيتهمون هذا الفكر بالعجز والقصور، والحق أن العجز والقصور ليسا إلَّـــا في حاملـــه فقط.

ولقد كنت أفكر في هذا الأمر منذ سنوات، وأُدَوِّن تحت هذا العنوان: «الحكمة في الدعوة»، وتحت عنوان آخر هـــو: «المنـــهج العملي للدعوة» – ما أَجدُه من وقفات عملية في الدعوة، كان لها أقوى الأثر وأعظم الفائدة.

ثم رأيت أن أبدأ الكتابة في الموضوع الأول، بعد أن تَبَيَّنَ لي أن أساسه ومادته العلمية متوافرة في ثنايا سيرته صلى الله عليه وســـلم التي كتب عنها الكثير بين جامع لهـــا، ودارس لفقههـــا الشـــرعي

والدعوي.

وللموضوع أهمية بالغة في ميدان الدعوة اليوم، ولعلي أحـــاول هنا أن أوجز أهمية هذا الموضوع في الفقرات التالية:

١- قوله تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَـــةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا﴾ [سورة البقرة، آية ٢٦٩]؛ فهذه شهادة من الله — سبحانه وتعالى – «وحســـبك بها من شهادة» لصاحب الحكمـــة بأنه قد أوتي خيرًا كثيرًا، وهذه بمفردها فقط دافع قويٌّ للتعرف على معناها ودراستها دراسة تعريفية تطبيقية.

٢- إن هذه الحكمة هي دعوة الرسول ﷺ لابن عمه عبد الله بن عباس — رضي الله عنهما — حين قال: «اللهم علِّمه الحكمة». أخرجه البخاري[1]، ولقد ظهر أثر هذه الدعوة في علم ابن عبـــاس — رضي الله عنه — وفي فقهه حتى قالوا عنه: لو سمع بهـــذا أهـــل الديلم لأسلموا. فما هي الحكمة التي دعا الرسول ربـــه أن يهبـــها لابن عمه؟!

٣- إن الناس يتحدثون عن الحكمة، وكلٌّ يريـــد أن يســـتند إليها؛ فالداعي إلى الله يحرص أن يكون حكيمًا، ولا بدَّ من تجليـــة هذا الأمر له – أو على الأقل مساعدته في تجلية هذا الأمـــر – لأن الله — سبحانه وتعالى — أمره بالدعوة إلى الله بالحكمة؛ قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [سورة النحل، آية ١٢٥].

(١) الإمام البخاري، صحيح البخاري. ٤/٢١٧.

ثم إن المدعوَّ يطالب الداعي بالحكمة في تعليمه، ويكيِّف هـذا المعنى لصالحه دائمًا؛ فأين وجه الحق في ذلك؟

٤- الحكمة معنى مجمل في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وجـاءت السنة العملية لتوضح وتجلي هذا الإجمال، وجمع هذه المواقف وربط بعضها ببعض ينير الطريق، ويضع المعالم الراسخة للدعوة إلى الله — سبحانه — بالحكمة.

٥- إن هذا الموضوع يمثِّل العمود الفقري لفن الدعوة؛ لأنـه يركِّز على كيفية الدعوة، إننا نتعجل في كثير من المواقف، فنصاب في مقتل؛ لأننا ضيعنا الكيفية فضيعنا الحكمة؛ فكما أن من يـؤتى الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا، فكذلك إن من حُرِمَ الحكمة فقد حرم خيرًا كثيرًا، وفي هذا البحث محاولة للتنبيه على هذه الأهمية وإبـراز لها في الواجهة؛ لعل فيها تذكيرًا واهتمامًا.

ومن منطلق إدراك هذه الأهمية ومطالعة كتب الـدعوة بعـد العيش في أجوائها، لم أجد أن الموضوع أعطي حقه مـن العنايـة الكافية، وبخاصة ما نعيشه في هذه الأيام من صـحوة إسـلامية، ورجعة حميدة، تحتاج إلى ترشيد وتوجيه؛ لترتبط بالسيرة النبويـة، والسير على منهاجها.

وقد اعتمدت في كتابتي لهذا البحث على السنة النبوية؛ بـل على جمع المواقف المختلفة من السيرة النبوية التي لا يجمعها سـوى معنى واحد هو الحكمة، وإن كان ظاهرها خلاف ذلك؛ فـالقرآن الكريم هو المصدر الأول، وفيه القواعد الكبرى، وجـاءت السـنة

تطبيقًا وشرحًا عمليًّا لهذا القرآن الكريم، وقـــد ســـلكت في هـــذا البحث مسلكًا جمع بين التعريف النظري والتطبيق العملي، فجعلت بحث الحكمة في الدعوة مقسومًا إلى قسمين:

أولهما: في التعريف النظري؛ إذ عرفت فيه الحكمة ومفهومهـــا في اللغة، والقرآن، والسنة، وفي المجال الدعوي.

والقسم الثاني: تطبيقات عملية تتبعت خلالها أحاديث الرسول ﷺ، وجمعت بينها في صور مختلفة قد يتبادر في بعضها لأول نظـــرة أنها متنافرة؛ بل متناقضة، وعندما يمعن النظر فيها تبدو فيها معـــاني الحكمة الدعوية زاهية جلية واضحة.

وقد كان مخطَّط البحث على النحو التالي:

تمهيد في أهمية الموضوع وسبب اختيار البحث فيـــه ومخطـــط البحث.

الفصل الأول: مفهوم الحكمة

وفيه مباحث:

الأول: تعريف الحكمة لغة.

الثاني: الحكمة في القرآن الكريم والسنة النبوية.

الثالث: الحكمة في الاصلاح.

الرابع: الحكمة في مجال الدعوة إلى الله.

الخامس: منزلة الحكمة في مراتب الدعوة إلى الله.

الفصل الثاني: **تطبيقات الحكمة في الدعوة إلى الله**

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

تمهيد:

المبحث الأول: تطبيقاتها باختلاف المدعو.

المبحث الثاني: تطبيقاتها واختلاف الموضوع.

المبحث الثالث: تطبيقاتها باختلاف الوسائل والظروف.

ثم الخاتمة وفهارس المراجع.

وبعد:

فإني لا أدَّعي لنفسي شيئًا في هذا البحث؛ فهو جهد متواضع أردت به الانضمام إلى زمرة الدعاة، وهم القوم لا يشقى بهم جليسهم، وحسبي أن أكون لهم جليسًا وبهم مقتديًا ومتأسِّيًا، وبين رحاب تلك السيرة العطرة مقلبًا ومتصفحًا؛ فما هي إلا نصوص أخذتها من هنا وهناك، وجمعت بينها؛ لتزداد جمالاً باجتماعها، وتناسقًا بترتيبها، فبدت حكمة اختلاف المواقف وتنوعها منه ﷺ، وبدت فيها عظمة هذا النبي ﷺ وعظمة دعوته، وازداد طريق التأسي به ﷺ إضاءة ووضوحًا.

وإن كنت – أيها القارئ – واجدًا خيرًا فهو من الله، وله الحمد والشكر أولاً وآخرًا، وإن كانت الأخرى فهو قصور وعجز وضعف البشر، والله أسأل أن يجعل فيها هدى لكاتبها وقارئها، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

الفصل الأول

مفهوم الحكمة

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الحكمة لغة.

المبحث الثاني: معنى الحكمة في القرآن الكريم والسنة النبوية.

المبحث الثالث: معنى الحكمة في الاصطلاح.

المبحث الرابع: مفهوم الحكمة في مجال الدعوة إلى الله.

المبحث الخامس: منزلة الحكمة في مراتب الدعوة إلى الله.

المبحث الأول

تعريف الحكمة لغة

قال ابن فارس: «حكم الحاء والكاف والميم أصل واحد؛ وهو المنع، وأول ذلك الحكم؛ وهو المنع من الظلم، وسميت حكمة الدابة لأنها تمنعها». ثم قال: «والحكمة هذا قياسها؛ لأنها تمنع من الجهل. وتقول: حكمت فلانًا تحكيمًا: منعتُه عما يريد». [١]

وقال الأصمعي: «أصل الحكومة ردُّ الرجل عن الظلم؛ قال: ومنه سميت حكمة اللجام؛ لأنها تردُّ الدابة». [٢]

وفي المصباح المنير: «والحكمة وزان قصبة للدابة، سميت بذلك لأنها تذلِّلها لراكبها حتى تمنعها الجماح ونحوه، ومنه اشتقاق الحكمة؛ لأنها تمنع صاحبها من أخلاق الأرذال». [٣]

أما الفيروز آبادي فيقول: «أصل المادة منع يقصد به إصلاح». [٤]

وقبل هذا قال: «والحكمة العدل، والعلم، والحلم، والنبوة والقرآن، والإنجيل، وطاعة الله، والفقه في الدين، والعمل به، أو الخشية أو الفهم، أو الورع، أو العقل، أو الإصابة في القول والفعل،

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة ٢/٩١ وحكمة اللجام، ما أحاط بحنكى الدابة وسميت بذلك لأنها تمنعه من الجري الشديد، انظر لسان العرب ١٢/١٤٤.

(٢) ابن منظور، لسان العرب ١٢/١٤١ مادة حكم.

(٣) أحمد بن محمد المقري الفيومي، المصباح المنير ١/٢٠٠.

(٤) الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز ٢/٤٩١.

والتفكر في أوامر الله واتباعه، وهو حكيم أي عدل حليم». [(١)]

وفي لسان العرب: «والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء، وبأفضل العلوم، ويقال لمن يحسن دقـــائق الصـــناعات ويتقنـــها: حكيم»[(٢)].

هذا هو أصل استعمال مادة الحكمة؛ لكن هذا المعـــنى اتَّســـع ليشمل معاني أوسع، وإن كانت هذه المعاني متقاربة تبدأ مع العلـــم وتصحبه في كل معانيها.

فالحكمة إذن في أصلها اللغوي ترشد إلى المنع مـــن الظلـــم، والتوجيه نحو الإصلاح عن علم وبصيرة؛ أو بعبارة أخرى، يمكـــن القول بأن: «الحكمة في أصلها إصابة الحق بالعلم» [(٣)].

(١) المرجع السابق ص ٤٨٧ وانظر الفيروز آبادي، القاموس المحيط، (٤/ ١٠٠).
(٢) ابن منظور، لسان العرب ١٤٠/١٢ مادة حكم.
(٣) ابن حجر، فتح الباري ١٠/ ٥٢٢.

المبحث الثاني
معنى الحكمة في القرآن الكريم
والسنة النبوية

* وردت الحكمة في القرآن الكريم بمعان كـــثيرة زادت علـــى عشرين معنى. (١)

يقول الفيروز آبادي:

«وأما الحكمة فمن الله تعالى معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام والإتقان، ومن الإنسان معرفة الموجودات وفعل الخيرات، وقد وردت في القرآن الكريم على ستة أوجه:

الأول: بمعنى النبوة والرسالة؛ ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَـــةَ﴾. [سورة آل عمران، آية ٤٨]، ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ﴾. [سورة ص، آية ٢٠]، ﴿وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾. [سورة البقرة، آيـــة ٢٥١]؛ أي النبوة.

الثاني: بمعنى القرآن والتفسير والتأويل، وإصابة القـــول فيـــه؛ ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾. [سورة البقرة: آية ٢٦٩].

الثالث: بمعنى فهم الدقائق والفقه في الدين؛ ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْـــمَ

(١) انظر: أبو حيان، البحر المحيط، ٢/٣٢٠، والفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز، ٢/٤٨٨ – ٤٩١.

﴿صَبِيًّا﴾. [سورة مريم، آية ١٢، ويلاحظ أن الآية فيـه الحكـم لا الحكمة]؛ أي فهم الأحكام.

الرابع: بمعنى الوعظ والتذكير؛ ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾. [سورة النساء، آية ٥٤]؛ أي الموعظة الحسنة، ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾. [سورة الأنعام، آية ٨٩، وفيها الحكم لا الحكمة].

الخامس: آيات القرآن وأوامره ونواهيه؛ ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾. [سورة النحل، آية ١٢٥].

السادس: بمعنى حجة العقل على وفق أحكام الشريعة؛ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾. [سورة لقمان، آية ١٢]. أي قولاً يوافق العقل والشرع. (١)

وبالتأمل في هذه المعاني يمكن إدخال بعضها في بعض، ولذلك نجد الرازي يقول: «يروى عن مقاتل أنه قال: تفسير الحكمة في القرآن على أربعة أوجه:

أحدها: مواعظ القرآن؛ قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ﴾. ومثلها في آل عمران.

وثانيها: الحكمة بمعنى الفهم والعلم؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾. وفي لقمان: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾؛ يعني الفهم والعلم. وفي الأنعام: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ

(١) الفيروز آبادي، بصائر ذوي التمييز ٢/٤٩٠/ ٤٩١.

﴿وَالْحُكْمَ﴾.

وثالثها: الحكمة بمعنى النبوة في النساء: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾؛ يعني النبوة وفي (ص): ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾. يعني النبوة. وفي البقرة: ﴿وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾.

ورابعها: القرآن بما فيه من عجائب الأسرار في النحل: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ﴾. وفي هذه الآية: ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾. (١)

ثم يعقب الرازي – رحمه الله تعالى – على هذه المعاني بقولـــه: «وجميع هذه الوجوه عند التحقيق ترجع إلى العلم» وهو كما قال؛ فإن هذه المعاني وإن تعددت فهي لا تختلف؛ بل هي مـــن صـــور الحكمة، وعلى هذا المعنى تعول كثير من كتب التفاسير؛ فابن كثير – رحمه الله تعالى – يفسِّر الحكمة في موضع نقلاً عن ابن عبـــاس فيقول: «المعرفة بالقرآن ناسخه ومنســـوخه ومحكمـــه ومتشـــابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله». (٢)، وهل هذا التعريف إلا عين العلم.

ثم يعرِّف الحكمة في موضع آخر عند قوله تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُـــمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾. [سورة البقرة، آية ١٥١]؛ يعني السنة. قالـــه الحسن وقتادة ومقاتل بن حيان، وأبو مالك وغيرهم، وقيل: «الفهم

(١) الرازي التفسير الكبير ٧/ ٦٧.
(٢) ابن كثير، تفسير ابن كثير ٣٢٢/١.

والدين». ثم قال بعد ذلك: «ولا منافاة»[١]، ثم يعرفها في موضع آخر عند قوله تعالى: ﴿وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾. [سورة البقرة، آيه ١٥١]؛ (أي النبوة) [٢].

ولكن ابن القيم – رحمه الله تعالى – يعطي معنى أدق تقعيدًا وأكثر وضوحًا لمعنى الحكمة حينما ترد في كتاب الله، فيقول: «والحكمة في كتاب الله نوعان: مفردة ومقترنة بالكتاب؛ فالمفردة فسِّرت بالنبوة، وفسِّرت بعلم القرآن.. وأما الحكمة المقرونة بالكتاب فهي السنة. كذلك قال الشافعي وغيره من الأئمة، وقيل هي القضاء بالوحي، وتفسيرها بالسنة أعم وأشهر». [٣]

فهذه نماذج من معاني الحكمة التي وردت في القرآن وفسرها به بعض المفسرين، ونجد أنهم وإن اختلفوا في بعض منها، فإنهم يتفقون على أن العلم والفهم المنطلق من القرآن هو الحكمة؛ سواء أكان في تفسير القرآن الكريم، أو في معرفة السنة، أو في المواعظ والحجج العقلية، أو عجائب الأسرار.

*** أما في السنة النبوية فقد وردت الحكمة على معان متعددة، منها:**

١– عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: "ضمَّني النبي ﷺ إلى صدره، وقال: «**اللهم علّمه الحكمة**». أخرجه البخاري.

---

(١) المرجع السابق ص ١٨٤.
(٢) ابن كثير، تفسير ابن كثير ١/ ٣٠٣.
(٣) ابن القيم التفسير القيم ص ٢٢٦/ ٢٢٧

قال البخاري: الحكمة الإصابة في غير النبوة. [١]

وقال ابن حجر – رحمه الله تعالى: «واختلف في المراد بالحكمة هنا؛ فقيل: الإِصابة في القول. وقيل: الفهم عن الله. وقيل: ما يشهد العقل بصحته. وقيل: نور يفرِّق به بين الإلهام والوسواس. وقيـــل: سرعة الجواب بالصواب. وقيل: غير ذلك». [٢]، ومنهم مَنْ فَسَّـــرَ الحكمة هنا بالقرآن.

٢- عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الفخر والخيلاء في الفدادين أهل الوبر، والسكينة في أهل الغنم، والإيمان يمان، والحكمة يمانية**». أخرجه البخاري [٣].

ونقل ابن حجر في الفتح عن ابن الصلاح: «إن المراد بالحكمة العلم المشتمل على المعرفة بالله ». [٤]

٣- عن عبد الله – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا حسد إلا في اثنتين، رجل آتاه الله مالاً فسلَّط على هلكته في الحق، وآخر آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلِّمها**». أخرجـــه البخاري [٥].

---

(١) الإمام البخاري، صحيح البخاري، كتاب الفضائل (٦٢) باب رقم (٢٤) ٤/٢١٧/ ٢١٨.

(٢) ابن حجر، فتح الباري ٧/ ١٠٠.

(٣) الإمام البخاري، صحيح البخاري كتاب المناقب (٦١) باب رقم (١) ج ٤/ ص ١٥٤.

(٤) ابن حجر، فتح الباري ٦/ ٥٣٢.

(٥) الإمام البخاري، صحيح البخاري ٨/ ١٥٠ كتاب رقم ٩٦ باب ١٣.

فالحكمة المراد بها هنا القرآن، وقيل: المراد بالحكمة كل ما مَنَعَ من الجهل وزَجر عن القبيح [(١)].

٤- عن أبيّ بن كعب – رضي الله عنه – أن رسـول الله ﷺ قال: «**إن من الشعر حكمة**». أخرجه البخاري [(٢)].

يقول ابن حجر – رحمه الله تعالى: «إن من الشعر حكمة؛ أي قولاً صادقًا مطابقًا للحق، وقيل: أصل الحكمة المنع؛ فالمعنى: إن من الشعر كلامًا نافعًا يمنع من السَّفَه». [(٣)]

٥- عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: كان أبـو ذر يحدِّث أن رسول الله ﷺ قال: «**فُرج عن سقف بيتي وأنا بمكـة، فنزل جبريل، ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانًا فأفرغـه في صـدري ثم أطبقـه..** الحديث». أخرجه البخاري. [(٤)]

والمعنى: «أن الطِّست جعل فيها شيء يحصل به كمال الإيمـان والحكمة؛ فسمي حكمة وإيمانًا مجازًا، أو مثلاً له؛ بناءً على جـواز تمثيل المعاني، كما يمثَّلُ الموت كبشًا؛ قال النووي في تفسير الحكمة أقوالًا كثيرة مضطربة صَفَا لنا منها: «أن الحكمة العلم المشتمل على المعروف بالله مع نفاذ البصيرة وتهذيب النفس وتحقيق الحق للعمـل

(١) ابن حجر، فتح الباري ١/ ١٦٧.
(٢)الإمام البخاري صحيح البخاري ج ٧/ ١٠٧ كتاب (٧٨) باب (٩٠).
(٣) ابن حجر، فتح الباري ج- ١٠ ص ٥٤٠.
(٤)صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري لابن حجر ١/ ٤٥٩ كتاب الصلاة (٨) باب رقم (١).

به، والكف عن ضده، والحكيم من حاز ذلك». اهـ ملخصًا.

وقد تطلق الحكمة على القرآن، وهو مشتمل على ذلك كله، وعلى النبوة كذلك، وقد تطلق على العلم فقط وعلى المعرفة ونحو ذلك»[(١)].

هذه جملة من معاني الحكمة كما وردت في الســـنة النبويـــة، وكما شرحها كبار علماء الحديث، نقلتها دون تدخل مني لأوضح معنى الحكمة عندما تأتي في الحديث النبوي.

ومن هذه التعاريف لمعنى الحكمـــة في السُّـــنَّة يظهـــر تعـــدُّد استعمالها، وإن كانت تلك المعاني متقاربة، إلا أن الذي يـــؤثِّر في اختلاف المعنى السياقُ الذي وردت فيه.

فتفسيرها بالإصابة، أو بالفهم، أو بالعلم، أو ما يشهد العقـــل بصحته، أو المنع من السفه، أو المعرفة بالله، كلُّها عندي تفســـيرات متقاربة؛ فمن اتَّصف بإحدى هذه الصفات فهو دليل على اتِّصـــافه بشيء من الحكمة.

(١) ابن حجر، فتح الباري ١/ ٤٦١.

المبحث الثالث

معنى الحكمة في الاصطلاح

من خلال النظر في معاني الحكمة في اللغة العربية، ومن خلال التَّعرُّف على إطلاقات الحكمة في القرآن الكريم والسنة النبوية، نجد علاقة وطيدة وصلة وثيقة بين هذه المعاني، وسنرى أيضًا في المعـــاني الشرعية الاصطلاحية للحكمة تماثلاً أو تشابهًا للمعاني التي نقلناهـــا عند تفسير الحكمة في القرآن والسنة.

بل إن الحكمة تعادل القرآن أو تعني القرآن الكريم؛ فمن علـــم بالقرآن فهو حكيم، كما فسرها ابن عباس عندما قال: «المعرفـــة بالقرآن.. إلخ» [١].

وكذلك تفسَّر الحكمة بأنها السنة[٢] وتعني النبـــوة[٣]، والحـــقُّ عندي أنَّ النبوة هي أعلى الحكمة؛ فهي صورة من صورها أو طبقة من طبقاتها، وتأتي في أعلى درجاتها[٤] وعلى قدر الأخذ من هـــذه المشكاة يرتقي المسلم في درجات الحكمة؛ يقول ابن القيم – رحمه الله تعالى : «وأحسن ما قيل في الحكمة قول مجاهد ومالـــك: إنهـــا معرفة الحق والعمل به، والإصابة في القول والعمل، وهذا لا يكون

---

(١) ابن كثير تفسير القرآن الكريم ١/ ٣٢٢.
(٢) المرجع السابق ص ١٨٤.
(٣) المرجع السابق ص ٣٠٣.
(٤) المرجع السابق ص ٣٢٢.

إلا بفهم القرآن، والفقه في شرائع الإسلام، وحقائق الإيمان». [١]

* وتطلق الحكمة عند الفقهاء فيقال: حكمـــة التشـــريع؛ أي علَّته. [٢]

* وتطلق أيضًا ويراد بها «الكلام الذي يقـــل لفظـــه ويجـــل معناه»[٣].

* وتطلق ويراد بها وضع الشيء في موضعه. [٤]

* وعرفها آخرون: «بأنها الإصابة في القول والعمل». [٥]

* هذه معان أو تعريفات تذكرها الكتب عن تعريف الحكمة، ولعل أقربها وأوفقها - بل وأجمعها - هو وضع الشيء في موضعه، وهذا التعريف يحقق كثيرا من المعاني السابقة؛ فهو إصابة في القـــول والعمل، وهو معتمد على فهم الكتاب والسنة وتطبيـــق مرادهمـــا، ومستمد من مشكاة النبوة في أوجز لفظ وأبلغ معنى.

---

(١) ابن القيم، التفسير القيم ص ٢٢٦/ ٢٢٧.

(٢) سعدي ابو حبيب القاموس الفقهي ص ٩٧.

(٣) المرجع السابق.

(٤) ابو حيان، البحر المحيط ١/ ٣٩٣ ومحمد رواس قلعجي وزميله، معجم لغة الفقهاء ص ١٨٤.

(٥) الطبري، تفسير الطبري ١/ ٥٥٨ وسعدي ابو جيب القاموس الفقهي ص ٩٧.

المبحث الرابع

مفهوم الحكمة في مجال الدعوة إلى الله

توصَّلنا في التعريف الاصطلاحيِّ بعد استعراض لمعاني الحكمـــة في اللغة والقرآن الكريم والسنة إلى أن معنى الحكمة هو وضع الشيء في موضعه.

وإن كان هذا التعريف هو الأساس أيضًا في تعريف الحكمة في مجال الدعوة إلى – سبحانه وتعالى – إلا أننا نريـــد أن ننطلـــق إلى منطلقات أخرى تحدِّد هذا المفهوم في هذا المجال بخاصـــة بصـــورة توضح المقصود والمراد من الحكمة في مجال الدعوة إلى الله؛ ذلك أن الدعوة إلى الله – سبحانه وتعالى – لا يمكن أن تخضـــع لقـــوانين مرسومة وأحكام مضبوطة يسير عليها الداعية وينظر إليها في كـــل خطوة من خطواته في ميدان الدعوة إلى الله تعـــالى؛ وذلـــك لأن الدعوة إلى الله – سبحانه وتعالى – تعتمد على عدة أشياء؛ فهـــي تعتمد على المحيط الذي يعيش فيه الداعية والمدعو، وعلى الظروف، وعلى البيئة وغيرها من الملابسات، ولذلك فليس من السهل وضع قيود محددة يسير فيها الداعية؛ لأن ذلك يخالف معنى الحكمة الذي يفترض ترك الأمر للداعية ليقدره وفق ما يطرأ وما يحيط بـــالموقف مسترشدًا ومستضيئًا بما لديه من علم شرعي يـــنير لـــه الطريـــق فحسب.

ولذلك فإننا نحسبه من الإعجاز القـــرآني؛ لأنـــه لم يتعـــرض لأحكام تفصيله في موضوع الدعوة؛ وإنما اكتفى بقوله تعالى: ﴿ادْعُ

﴿إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾، ولسائل بعـــدها أن يقلِّب في بقية صفحات المصحف الكريم؛ علَّه يجد ضوابط أدق؛ إنه لن يجد إلا حثًّا على العلم والفهم، ومحاولـــة الإصـــابة في القـــول والعمل؛ وهذا هو السياج الكبير الذي يطلق خلاله للعقل الســـليم والذوق السليم والعقيدة الراسخة والفكرة المتغلغلة في النفس.(١)

وحسبه هذه الأمور ليُعمل بعد ذلك عقله وذوقه وإصـــراره المنطلق من عقيدة ثابتة وراسخة، وفكرة مستنيرة، ومحاط عن يمينـــه وعن يساره بسياج واسع يتيح لـــه التحـــرك وتقـــدير اخـــتلاف الأشخاص والموضوعات والأزمان والأمكنة والظروف والأحوال.

وهذا السياج الذي يحمي الداعية من الانحـــراف، وبالتـــالي الخروج من إطار الحكمة - لم يكن ولن يكون عائقًا للداعية؛ بـــل هو لإعطائه الفسحة في الاطلاع على سير الأنبياء ومنـــاهجهم في الدعوات موثقة في أوثق مصدر، وهو القرآن الكريم، وهي نمـــاذج ثابتة مؤثرة منوعة قابلت شتى أنواع البشـــر، وتعاملـــت معهـــم، وصبرت وصابرت في سبيل هذه الدعوة، فكانت أيضًا علامـــات واضحة تضيء طريق الدعوة، وتسهل للمطلع على سيرهم الســـير في هذا الطريق تحت مشكاة النبوة؛ ﴿أُولَئِكَ الَّـــذِينَ هَـــدَى اللَّـــهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ﴾. [سورة الأنعام، آية ٩٠].

ولعل هذا التصوير يوضح معنى الحكمة في مجال الدعوة إلى الله؛ فهي كما تعني وضع الشيء في موضعه، فهي أيضًا تعـــني العلـــم

(١) انظر: ابو الحسن الندوي روائع من أدب الدعوة ١١٠، ١٣، ١٤، ١٦.

والوعي وتقدير الموقف، ثم التفاعل مع الحدث تفـــاعلاً مثمـــرًا لا يخرج عن نهج الحق والصواب الذي اتضحت معالمه بنور القـــرآن وسير الأنبياء؛ فطريق الحكمة حينئذ ليس طريق متاهة وضياع، ليس عليه علامات ومنارات، وكذلك فهو ليس طريقًا محدَّدًا جامدًا، لا يفرِّق بين مدعوٍّ وآخر، ولا زمن وزمن، أو مكان ومكان، ولا يقيم للظروف والأحوال قيمتها واعتبارها.

وبهذا المفهوم أيضًا يتبيَّن أن الحكمة في الدعوة إلى الله لا تعـــني اللين واللُّطف والسماحة والتنازل، حتى تتحول هذه الألفـــاظ إلى معاني الذل والهوان والضعف والجبن؛ الحكمة لين في وقت اللـــين فحسب، وشدة في وقت الشدة فحسب؛ أما أن تكـــون لينًـــا في موضع الشدة، فهذا ليس بحكمة، وإنما هو ضعف وذلٌّ وهوان، أو أن تكون الحكمة الشدة في موضع اللين؛ فهـــذا صـــلف وحماقـــة واعتداء وتجاوُز.

المبحث الخامس
منزلة الحكمة في مراتب
الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾. [سورة النحل، آية ١٢٥].

فالقرآن يبدأ في أمر الدعوة بتوجيه النبي ﷺ في قصة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام من الله نحو الكلمة؛ وهذا يعني أن إبراهيم – عليه السلام – كان سائرًا في هذا الطريق ملتزمًا له، ثم أيضًا البدء بالحكمة قبل غيرها من الأساليب لتقديمها في الحديث على غيرها.

وهناك آية أخرى تتحدث عن الدعوة، ولكن مع صنف خاص هم أهل الكتاب؛ إذ قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾. [سورة العنكبوت، آية ٤٦].

ومن هذه الآيات يمكن أن نستخلص عدة طرق للدعوة أشارت إليها الآيات السابقة:

فالطريق الأول: الدعوة إلى الله بالحكمة.

والطريق الثاني: الدعوة إلى الله بالموعظة الحسنة.

الطريق الثالث: الدعوة إلى الله بالمجادلة بالتي هي أحسن.

الطريق الرابع: الدعوة إلى الله بالمجادلة بما ليس أحسن.

ونجد العلماء يجعلون هذه الطرق الأربعـــة مرتبـــة؛ فيـــدعى الشخص أولاً بالحكمة؛ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمـــه الله تعالى: «تارة يكون العبد إذا عرف الحق وتبين له اتبعه وعمل بـــه؛ فهذا هو الذي يدعى بالحكمة، وهو الذي يتذكر وهو الذي يحدث له القرآن ذكرًا».

ثم يقول: «والثاني أن يكون له من الهوى والمعارضة ما يحتـــاج معه إلى الخوف الذي ينهي النفس عن الهوى؛ فهذا يدعى بالموعظة الحسنة». [1]

فإن لم تُجْد معه الموعظة الحسنة فبالمجادلة الحسنة والمناظرة بقدر ما يُبيِّن له وجه الحق والصواب. [2]

فإن لم تنفع المجادلة بالتي هي أحسن، فبالمجادلة بغير التي هـــي أحسن [3]؛ أخذًا من قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾. [سورة العنكبوت، آية ٤٦]. أو بمعنى آخر: فبالمجالَدَة [4]؛ وبالتالي فهـــي أربع مراتب:

الحكمة، ثم الموعظة، ثم المجادلة، ثم المجالدة.

وهذه الطرق أو المراتب التي أرشد إليها القرآن الكـــريم هـــي النافعة المثمرة في العلم والعمل، وهي تشبه ما عند أهل المنطق مـــن

(١) ابن تيمية مجموع الفتوى ١٥/ ٣٤٣ وانظر ٢/ ٤٥.
(٢) محمد بن إبراهيم، مجموع الفتاوى ١/ ٩٠.
(٣) محمد بن صالح العثيمين، زاد الداعية إلى الله ١٤، ١٥.
(٤)محمد بن إبراهيم، مجموع الفتاوى ١/ ٩٠.

البرهان والخطابة والجدل، وهناك طريقان نهى عنهما القرآن الكريم: الشعر والسفسطة التي هي الكذب المموه، يقول الله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ * تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ * يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ * وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ......﴾ إلى آخر السورة. [سورة الشعراء، الآيات آخر السورة]. فذكر الأفَّاكين، وهم المسفسطون، وذكر الشعراء (١).

وبعد: فإن المقارنة بين كلام العلماء في مراتب الدعوة هنا مع تعريف الحكمة السابق يُظهر أن الحكمة هنا عرِّفت بتعريف جزئي، وليس بمعناها الشامل الواسع السابق.

إننا توصَّلنا بعد النقل من كتب العلم والرجوع إلى كتب التفاسير إلى أن الحكمة: «وضع الشيء في موضعه»، وهنا نجد أن الحكمة مخصَّصةٌ بنوع معين من المدعوِّين وهم الذين يعترفون بالحق ويتبعونه؛ (٢) أما من عدا هؤلاء فيدعى بالموعظة والمجادلة بالحسنى.. إلخ.

وهذا في رأيي يُظهر جليًا أهميةَ مرتبة الحكمة بين بقية المراتب الأخرى؛ فهي المقدَّمة عليها جميعًا، وهي تشملها عند عدم ذكرها؛ فإذا أفردت الحكمة بالذكر دخلت فيها الموعظة والمجادلة بالحسنى، والمجادلة بغير الحسنى لمن يستحق ذلك.

فمرتبتها أعلى المراتب إن وجدت المراتب، وإن غابت وأغفلت

(١)ابن تيمية الفتاوى ٢/ ٤٢.
(٢) ابن تيمية الفتاوى ٢/ ٤٥.

المراتب فهي كافية عنها، ومؤدِّية الغرض منها.

ولذلك يقول أبو الحسن الندوي: إن الحكمة «الكلمة البليغـــة العربية التي جاءت في الآية» لا أعتقد أنه من الممكن ترجمتـــها أو نقلها إلى لغة أخرى(١).

وهذا هو المعنى الذي سأذكر عليه نماذج تطبيقية تظهر معـــنى الحكمة التي تفرِّق بين شخص وشخص ممن يَتحدَّث إليهم الداعية، وأنها تنتقل من المداراة والمجاراة أو اللين واللطف إلى أن تصـــل إلى مرحلة حمل السلاح والقوة؛ هذا في أسلوبها، أو التمسك بالمبدأ، أو في التنازل عنه، إذا كان ممن يقبل التنازل تحقيقًا لمصـــلحة أعلـــى، وتطبيقًا لمفهوم الحكمة في الدعوة في موضوعها.

أما في الظروف والأحوال المحيطة فلها اعتبارها وقيمتها المؤثرة على تطبيق الحكمة في الدعوة إلى الله في معناها الواسع المشار إليه.

---

(١) ابو الحسن الندوي، روائع من أدب الدعوة ص ١٥.

الفصل الثاني
تطبيقات الحكمة في الدعوة إلى الله

وفيه تمهيد، وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تطبيقاها باختلاف المدعو.

المبحث الثاني: تطبيقاها باختلاف الموضوع.

المبحث الثالث: تطبيقاها باختلاف الوسائل والظروف المحيطة.

تمهيد

تقوم كلُّ دعوة في أي شكل من أشكالها على أركان أربعة:

الركن الأول: وهو المرسل، أو هو حامل هذا الدَّين ليؤديه إلى غيره؛ فهو الذي لديه القناعة والحماس لنقل فكرة دينيـــة دعويـــة ويرغب إيصالها لغيره، مستخدمًا في ذلك الوسائل والأساليب الـــتي تعينه على تحقيق مراده بحكمة ودراسة وفهم وتلاؤم بـــين المـــدعو والوسيلة والموضوع.

وبالتالي فهو مصدر الحكمة، وهو المؤثِّر، أو على الأقل هو اليد التي تعمل على تحقيق الحكمة عندما تختار الوسيلة المناسبة في الوقت المناسب لتتحدث عن الموضوع المناسب للشخص الملائم.

وحينئذ فهذا الركن خارج عن دائرة بحث الحكمة في الـــدعوة إلى الله لتأثيره وعدم تأثره.

الركن الثاني: المدعوُّ: وهو من تُوجَّه إليه الرسالة.

وهو المقصود بالعملية الدعوية إذا جاز لنا أن نسميها عمليـــة، وبالتالي فالأنظار تتجه نحوه ترقب الطريق الموصل إليه تارة، وترقب حالته أخرى، لتتعرف على ملائمة الوقت والحال لإطلاق رســـائل الدعوة إليه.

وكثيرًا ما تتأثر الدعوة بالقبول أو الرد نتيجة عـــدم إحســـان التعرف على نفسية المدعو؛ ذلك أن الدعوة عملية ذات اتجـــاهين، تعتمد على إدراك نفسية الناس، واستعدادهم للقبول والاســـتجابة

.(١)

وعلى هذا فإن التعرفَ على المدعو يُعدُّ من صلب الحكمـــة في الدعوة إلى الله، وكثيرًا ما تغير الأسلوب - بل الموضـــوع - بعـــد معرفة المخاطب المدعو، ولذلك سيكون لنا وقفات تطبيقيـــة مـــن سيرة الرسول ﷺ المظهرة لحسن الاختيار وجودة التقـــدير وبـــروز الحكمة فيها بشكل كانت له جوانب إيجابية موفَّقة.

الركن الثالث: الرسالة أو الموضوع أو الفكرة الـــتي يرغـــب الداعي إيصالها إلى المدعو، وتغيير فكره ورأيه بعد الاقتناع بها، وهي تدور في نطاق هذا الدين لا تخرج عن إطاره؛ لكنها تختلف وتتأثر بعوامل عدة، ابتداء من الداعي ذاته إلى المدعو ونفسيته وتقبله، إلى الوسيلة والظروف المحيطة، ودور الحكمة هنا يبرز واضحًا في حسن إيصال الرسالة وتقبلها والتأثر بها.

الركن الرابع: وهو الوسيلة والأسلوب، أو الأداة الناقلة للفكرة من الداعي إلى المدعو، ويلحق بها ما يحيط من ظـــروف الزمـــان والمكان، ولكل من الوسيلة والأسلوب وما يحيط بهما من ظـــروف زمانية أو مكانية دور بالغ في تحقيق التأثير المطلوب مـــن رســـالة الدعوة، ومن هذا المنطلق فإني أقول: إن علـــى الـــداعي إلى الله أن يفكر كيف يدعو قبل أن يفكر في: إلى أي شيء يدعو، وكثيرًا ما أدَّى التعجُّل إلى الهدم؛ فما أن يرى شابٌّ خلـــلاً أو قصـــورًا إلا

(١) انظر: خورشيد أحمد، طبيعة الدعوة الإسلامية، ص ٣٤، من بحوث ندوة اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر.

ويأخذه وقد حال الحماس بينه وبين التفكير في الأسلوب والوسيلة؛ فهو يعرف إلى أيِّ شيء يدعو، ثم يعرف جيدًا إلى أي شيء يدعو ليحقق الحكمة في دعوته، وكم من الأفكار الجميلـــة خنقتـــها في مهدها أساليب عرضها.

ولأجل هذا يبدو جليًّا المكان الواسع للحكمة في هذا الـــركن وأهميته والتنبُّه إليه والاعتناء به.

وبعد:

فهذه أركان الدعوة، أولها الداعي، وقد أخرجته من مجال بحثنا؛ لأنه الفاعل المؤثر، والحكمة جزء خارج عنه، وحســـب تصـــرفه واختياره يوصف بالحكمة أو عدمها، وما عداه من الأركان الثلاثة تتفاعل مع الحكمة تفاعلاً قويًا تؤثر بالحكمة، وتؤثر الحكمة فيهـــا، وفي سيرة نبينا ﷺ التطبيق الحي والشاهد الأمثـــل لحســـن رعايـــة الحكمة وقوة تأثيرها وعمق صداها.

ولذلك فسأقسِّم هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: يتعلق بتطبيقات الحكمـــة في الـــدعوة إلى الله بالنسبة للمدعوّ.

المبحث الثاني: يتعلق بتطبيقات الحكمـــة في الـــدعوة إلى الله بالنسبة للموضوع والرسالة.

المبحث الثالث: يتعلّق بتطبيقات الحكمـــة في الـــدعوة إلى الله بالنسبة للوسيلة والظروف المحيطة الأخرى.

المبحث الأول
تطبيقات الحكمة في الدعوة
إلى الله باختلاف المدعو

تختلف الموضوعات وتختلف الأساليب باختلاف المدعوّ، وهنا تأتي براعة وذكاء الداعي في المواءمة بين المدعو والرسالة؛ لتُصاغ الرسالة أو تُعدَّل أو تُبدَّل وفق صيغة معينة لا يخرجها عن إطارها المقصود، ولا يجعلها ترتد على صاحبها؛ إما بالسلامة أو بتأثير عكسي. وإليك البيان:

١- الصورة الأولى:

قال عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه : سألت رسول الله ﷺ، قلت: يا رسول الله أي العمل أفضل؟

قال: «**الصلاة على ميقاتها**». قلت: ثم أيُّ؟ قال: برُّ الوالدين. قلت: ثم أيُّ؟ قال: الجهاد في سبيل الله، فسكتُّ عن رسول الله ﷺ، ولو استزدته لزادني». رواه البخاري [(١)].

٢- عن عائشة – رضي الله عنها – أنها قالت: يا رسول الله، نرى الجهاد أفضل العمل، أفلا نجاهد؟ قال: «**لكن أفضل الجهاد حج مبرور**». رواه البخاري [(٢)].

---

(١) البخاري – صحيح البخاري كتاب الجهاد باب فضل الجهاد ٢/ ٢٠٠.
(٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجهاد باب فضل الجهاد ٢/ ٢٠٠.

٣- عن ابن عبد الله بن بسر – رضي الله عنـــه – أن رجـــلاً قال: يا رسول الله، إن شرائع الإسلام قد كثرت علـــيَّ فـــأخبرني بشيء أتشبث به. قال: «**لا يزال لسانك رطبًا مـــن ذكـــر الله**». أخرجه الترمذي وأحمد [(١)].

٤- عن أبي أمامة – رضي الله عنه – قال: أتيت رســـول الله ﷺ فقلت: مرني بعمل يدخلني الجنة. قال: «**عليك بالصوم؛ فإنه لا عدل له**»، ثم أتيتُه ثانية فقال: «**عليك بالصيام**». رواه الإمام أحمد وابن خزيمة [(٢)].

٥- عن معاذ بن جبل – رضي الله عنه – قال: كنت مع النبي ﷺ في سفر، فأصبحت يومًا قريبًا منه ونحن نسير، فقلت: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار. قـــال: «**لقـــد سألتَني عن عظيم، إنه ليسير على من يَسَّرَه الله عليه: تعبـــد الله ولا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتـــؤتي الزكـــاة، وتصـــوم رمضان، وتحج البيت**»، ثم قال: «**ألا أَدَلُّك على أبواب الخـــير: الصوم جُنَّةٌ، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل**». قال: ثم تلا: ﴿تَتَجَـــافَى جُنُـــوبُهُمْ عَـــنِ الْمَضَاجِعِ﴾. [سورة السجدة، آية ١٦]. ثم قال: ألا أخبركم برأس الأمر كله وعموده وذروة سنامه؟! قلت: بلى يا رسول الله! قـــال:

---

(١) صحيح الترمذي للألباني ٣/ ١٣٩، أبواب الدعوات، ومسند الإمام أحمد، انظر الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد، ج ١٤ ص ٢٠٣.

(٢) البناء الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد ٩/ ٢١٥ وصحيح ابن خزيمة ج ٣/ ١٩٤، وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ٤/ ٥٧٣ رقم ١٩٣٧.

«**رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد**». ثم قال: «**ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟!** قلت: بلى يا رسول الله. قال: فأخذ بلسانه، قال: «**كُفَّ عليك هذا**». فقلت: يا نبيَّ الله، وإنـــا لمؤاخَذون بما نتكلم به؟ قال: «**ثكلتك أمُّك يا معاذ، وهل يَكُـــبُّ الناس في النار على وجوههم أو علـــى منـــاخرهم إلا حصـــائد ألسنتهم**». رواه الترمذي [1].

هذه تمثِّل مجموعةً من السائلين سألوا رســـول الله ﷺ ســـؤالاً واحدًا، وإن اختلفت ألفاظه فهو يدور حول أفضل الأعمال؛ فمرة نجد الرسول ﷺ يجيب السائل بأن أفضل الأعمال بر الوالـــدين، ثم الجهاد، ثم الحج، ثم تختلف الإجابة عندما أصبحت السائلة امـــرأة، فجعل الجهاد الحج المبرور، ثم يجيب الأعرابي[2] السائل عن كثـــرة شرائع الإسلام بأن أفضل الأعمال التي يتشبث بهـــا ذكـــر الله – سبحانه وتعالى ، ويأتي آخر فيدلُّه على الصيام، وأنَّه لا يماثلـــه ولا يعادله عمل، ولما كان السائل في حديث معاذ شابًا جلدًا حريصًـــا تغيرت الإجابة؛ بل كانت مفصلة متضمنة لإضافات جديدة قيمة لم يسأل عنها السائل.

وهنا قد يقف بعض الأشخاص فيظن أن هذا تناقضًا في إجابة الرسول ﷺ، ويعدها من الأخطاء التي يريد أن ينقص الإسلام بهـــا، ولا يدري أن هذه الإجابات وتنوعها إنما هي على العكـــس مـــن

(١) الألباني، صحيح سنن الترمذي ج ٢ ص ٣٢٨/ ٣٢٩، رقم ٢١١٠.
(٢) انظر البنا، الفتح الرباني ١٤/ ٢٠٣.

ذلك؛ فهي للفاهم الواعي المدرك، يعلم أنها منتهى الحكمة التي يعطي لكل سائل الإجابة الملائمة لا جهاد عليها، وجهادها الحج.

والشيخ الفاني عبادته الذكر، وهكذا يقول البناء – رحمه الله تعالى – وهو يشرح حديث أبي أمامة السابق في قوله ﷺ لأبي أمامة في المرة الثانية: عليك بالصيام؛ دلالة على أنه لم يجد له أفضل منه، وهذا لا ينافي ما ثبت في أحاديث أخرى من أن النبي ﷺ أجاب بعض السائلين في مثل هذا بأعمال أخرى غير الصيام؛ لأنه ﷺ كالطبيب يصف لكل إنسان من الدواء ما يناسب حاله» [(١)].

الصورة الثانية:

١- عن جابر بن عبد الله الأنصاري – رضي الله عنهما – قال: كُنَّا عند رسول الله ﷺ إذ جاء رجل بمثل بيضة من ذهب فقال: يا رسول الله، أصبت هذا من معدن، فخذها فهي صدقة، ما أملك غيرها. فأعرض عنه رسول الله ﷺ، ثم أتاه من قبل ركنه الأيمن فقال مثل ذلك، فأعرض عنه، ثم أتاه من قبل ركنه الأيسر، فأعرض عنه رسول الله ﷺ، فحذفه بها، فلو أصابته لأوجعته أو لعقرته، فقال رسول الله ﷺ: «يأتي أحدكم بما يملك فيقول: هذه صدقة، ثم يقعد يستكف الناس، خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى». أخرجه أبو داود [(٢)].

---

(١) البناء، بلوغ الأماني المطبوع مع الفتح الرباني ج ٩ ص ١٥.

(٢) أبو داود، سنن أبي داود ٢/ ١٢٨ كتاب الزكاة باب الرجل يخرج من ماله، وانظر المنذري، مختصر سنن أبي داود ٢/ ٢٥٤؛ حيث قال بعد هذا الحديث في إسناده محمد ابن إسحاق وانظر التعليق على زاد المعاد ج ٣ ص ٥٨٩؛ حيث قال بعد ذكر =

٢- عن زيد بن أسلم عن أبيه، قال: سمعت عمر بن الخطـــاب - رضي الله عنه - يقول: «أمرنا رسول الله ﷺ يومًا أن نتصدق، فوافق ذلك عندي مالاً، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يومًا. فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله ﷺ: «**ما أبقيتَ لأهلـــك؟**» قلت: مثله. قال: وأتى أبو بكر - رضي الله عنه - بكل ما عنده، فقال رسول الله ﷺ: «**ما أبقيت لأهلك؟**» قال: أبقيـــتُ لهـــم الله ورسوله. قلت: لا أسابقك إلى شيء أبدًا». أخرجه أبو داود [(١)].

٣- حديث كعب بن مالك - رضي الله عنه - حين تخلَّـــف عن غزوة تبوك في حديث طويل، في صحيح البخـــاري، جـــاء في آخره: بعد أن نزلت التوبةُ على كعب - رضي الله عنه - في قصة الثلاثة الذين خُلِّفوا، قال كعب لرسول الله ﷺ: «قلت: يا رســـول الله، إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقةً إلى الله وإلى رسوله ﷺ». قال رسول الله ﷺ: «**أَمْسك عليك بعضَ مالك؛ فهو خير لك**». أخرجه البخاري. [(٢)]

هذه ثلاثة مواقف في قضية واحدة وهي الصدقة بالمال؛ لكـــن اختلفت الإجابة، واختلف التعامل؛ فهل يفهم من هذا تناقضًـــا أو

نص الحديث في الهامش: «ورجاله ثقات». ولم أجده في صحيح سنن أبي داود للألباني.

(١) سنن أبي داود، كتاب الزكاة، باب الرخصة في الرجل يخرج من ماله، وحسَّنه الألبانيُّ في صحيح سنن أبي داود ١/ ٣١٥، رقم ١٤٧٢، وصحَّحه الحاكم، المستدرك ١/ ٤١٤، ووافقه الذهبيُّ.

(٢) البخاري صحيح البخاري ٥/ ٣٤ كتاب رقم ٦٤ باب ٧٩.

تحيُّزًا أو هي الحكمة والفهم والوعي لطبيعة المتصدِّق؟ فـــإنَّ مَـــنْ يتصدق اليوم ويُخشى عليه أن يندم غدًا، أو تُسَبِّبُ له صدقتُه مضرَّةً راجحة، فإنَّ دفعَ المفاسد مُقَدَّمٌ على جَلْب المصالح.

ولذلك نجد هنا أربعة أشخاص: الأول: ردُّ الرسول ﷺ صدقته عندما تصدَّق بماله كلِّه؛ بل عَنَّفه على ذلك لإلحاحه في عرض المال مع إعراض الرسول ﷺ عنه.

كل هذا خوفًا من الفقر وعدم الصبر(١).

وقَبلَ ﷺ من عمر – رضي الله عنه – الصدقةَ بنصف ماله؛ بل قَبلَ من أبي بكر – رضي الله عنه – الصدقة بماله كله، و لم ينكـــر عليه خروجَه من ماله أجمع؛ لما علمه من صحة نيَّته وقوَّة يقينه، و لم يخف عليه الفتنة كما خافها على الرجل الذي رَدَّ عليه الذَّهب (٢).

وأما كعب – رضي الله عنه – فقد منعه من الصدقة بكل ماله؛ فهو إشارةٌ من الرسول ﷺ للأرفق به، وما يحصل به منفعـــة دينـــه ودنياه؛ فإنه لو مكنه من إخراج ماله كله قد لا يصبر على الفقـــر والعدم (٣)، وهكذا نجد الأحكام تختلف بـــاختلاف الأشـــخاص المدعوين إن اتحدت القضية وهي «الصدقة»، وهذا من فقه الدعوة وإدراك الحكمة؛ يقول ابن القيم – رحمه الله تعالى : «وقد يقال – وهو أرجح إن شاء الله : إن النبي ﷺ عامَلَ كُلَّ واحـــد ممَّـــن أراد

(١) ابن القيم، زاد المعاد ٣/ ٥٨٩.
(٢) الخطابي، معالم السنن المطبوع مع مختصر سنن أبي داود للمنذري، ٢/ ٢٥٤.
(٣) انظر ابن القيم زاد المعاد ٣/ ٥٨٩.

الصدقة بماله بما يعلم من حاله» [1]؛ أي بما يغلب على ظنِّ الرسول ﷺ من حالته، فوجَّهه نحو التَّصرُّف الذي يوافــق قــواه الإيمانيــة ومقدرته على مواجهة أعباء الحياة؛ فمن خاف أن يضعف أمامهــا أمره بحفظ ماله، ومن كان ثابتًا راسخًا فالصدقة مطلوبة ومرغــب فيها ومثاب عليها.

الصورة الثالثة:

١- عن أبي مالك الأشعري – رضي الله عنه – أنه سمع الــنبي ﷺ يقول: «**ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف**». أخرجه البخاري بصيغة الجزم معلَّقًا [2].

٢- عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – قال: خــرج النبي ﷺ بعبد الرحمن بن عوف – رضي الله عنه – إلى النخيل، فإذا ابنه إبراهيم يجود بنفسه، فأخذه الــنبي ﷺ فوضــعه في حجــره، ففاضت عيناه، فقال له عبد الرحمن: «أتبكي وأنت تنهى الناس!!» قال: إني لم أُنْهَ عن البكاء؛ وإنما نُهيتُ عن النوح؛ صوتين أحمقــين فاجرين؛ صوت عند نغمة لهو ولعب ومزامير شيطان، وصوت عند مصيبة خمش وجوه وشقِّ جيوب ورنة». رواه البيهقي، واللفظ لــه [3]، والترمذي باختصار بعض الألفاظ، وحسَّنه الألبانيُّ [4].

(١) ابن القيم، زاد المعاد ٣/ ٥٨٩.
(٢) صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري لابن حجر ١٠/ ٥١ كتاب الاشربة رقم (٧٤) باب ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه (٦).
(٣) البيهقي، السنن الكبرى ج ٤ ص ٦٩.
(٤) الألباني، صحيح سنن الترمذي ١/ ٢٩٥ رقم ٨٠٤.

يقول ابن القيم – رحمه الله تعالى: «فانظر إلى هذا النهي المؤكّد بتسميته صوت الغناء صوتًا أحمق، و لم يقتصر على ذلك حتى وصفه بالفجور، و لم يقتصر على ذلك حتى سمَّاه من مزامير الشيطان» [(١)].

٣- عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: «دخل عليَّ رسول الله ﷺ وعندي جاريتان تغنِّيان بغناء بعاث، فاضطجع على الفراش وحَوَّلَ وجهَه، ودخل أبو بكر – رضي الله عنه – فانتهرني وقال: مزمارة الشيطان عند رسول الله ﷺ. فأقبل عليه رسول الله ﷺ فقال: «**دعهما**». فلما غفل غمزتهما فخرجتا، وكان يوم عيد يلعب السودان بالدرق والحراب، فإما سألت النبي ﷺ، وإما قال: أتشتهين تنظرين؟ قلت: نعم! فأقامني وراءه خدي على خده وهو يقول: دونكم يا بني أرفده، حتى إذا مللت قال: حسبك. قلت: نعم! قال: فاذهبي». رواه البخاري [(٢)].

٤- عن بريدة قال: خرج رسول الله ﷺ في بعض مغازيه، فلما انصرف جاءت جارية سوداء فقالت: «يا رسول الله، إني كنت نذرتُ إن ردَّك الله سالمًا أن أضرب بين يديك بالدُّفِّ وأتغنى. فقال لها رسول الله ﷺ: «**إن كنت نذرت فاضربي وإلا فلا**». فجعلت تضرب، فدخل أبو بكر – رضي الله عنه – وهي تضرب، ثم دخل علي وهي تضرب، ثم دخل عثمان وهي تضرب، ثم دخل عمر فألقت الدفَّ تحت إستها ثم قعدت عليه، فقال رسول الله ﷺ: «**إن**

(١) ابن القيم، إغاثة اللهفان، ١/ ٢٥٤.

(٢) البخاري، صحيح البخاري ٢/ ٣ كتاب العيدين رقم ١٣ باب ٢.

الشيطان ليخاف منك يا عمر؛ إني كنتُ جالسًا وهي تضـــرب، فدخل أبو بكر وهي تضرب، ثم دخل علي وهـــي تضـــرب، ثم دخل عثمان وهي تضرب، فلما دخلتَ أنت يـــا عمـــر ألقـــت الدف». أخرجه الترمذي(١).

هذه نصوص وردت عن الرسول ﷺ في المعـــازف والغنـــاء؛ فالموضوع واحد، لكن اختلف المخاطبون، فاختلف تبعًـــا لـــذلك الحكم، وهذه هي الحكمة التي تراعي أحوال المدعوين، وتفرق بين حال وحال بما لا يجعل النصوص يضرب بعضها بعضًا، وقد نقلت كلام ابن القيم – رحمه الله تعالى – قبل قليل حول تحريم المعـــازف والمزامير وتسميتها مزامير الشيطان، وسأُتْبع هذا بنقول أخرى مـــن كتاب آخر للمؤلف نفسه حول القضية ذاتها، ولنسمعه يقول وهو يتحدث عن قصة عائشة مع الجاريتين: «فقد أقر النبي ﷺ الصديق على أن الغناءَ مزمور الشيطان.. فعلم أن هذا من الشـــيطان، وإن كان رخص فيه لهؤلاء الضعفاء العقول من النساء والصبيان، لئلَّـــا يدعوهم الشيطان إلى ما يفسد عليهم دينهم؛ إذ لا يمكن صـــرفهم عن كل ما تتقاضاه الطباع من الباطل، والشريعة جاءت بتحصـــيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها؛ فهي تحصـــل أعظـــم المصلحتين بتفويت أدناهما، وتدفع أعظم المفسدتين باحتمال أدناهما.

فإذا وصف العمل بما فيه من الفساد مثل كونه مـــن عمـــل الشيطان، لم يمنع ذلك أن يدفع مفسدةً شرًّا منه وأكبر، وأحب إلى

(١) الألباني، صحيح سنن الترمذي ٣/ ٢٠٦ رقم ٢٩١٣ وصححه.

الشيطان منه؛ فيدفع بما يحبه الشيطان ما هو أحب إليه منه، ويحتمل ما يبغضه الرحمن لدفع ما هو أبغض إليه منه، ويفـــوت مـــا يحبـــه لتحصيل ما هو أحب إليه منه، وهذه أصـــول مَـــنْ رُزق فهمَهـــا والعملَ بها فهو من العالمين بالله وبأمره»... إلى أن قـــال: «وإذا لم يمكن حفظ العبد نفسه من جميع حظوظ الشيطان منه، كان مـــن معرفته وفقهه وتمام توفيقه أن يدفع حظه الكبير بإعطائه حظه الحقير إذا لم يكن حرمانه الحظَّين كليهما، فإذا أعطيت النفوس الضـــعيفة حظًّا يسيرًا من حظِّها يستجلب به من استجابتها وانقيادهـــا خـــير كبير، ويدفع عنها شرًا كبيرًا أكبر من ذلك الحظ، كان هذا عـــين مصلحتها، والنظر لها والشفقة عليها».

ثم قال وهو يتحدث عن حديث ضرب المرأة التي نـــذرت إن نجاه الله أن تضرب على رأسه بالدف؛ لما في إعطائها ذلك الحظ من فرحها به وسرورها بمقدمه وسلامته التي هي زيادة في إيمانها ومحبَّتها لله ورسوله، وانبساط نفسها وانقيادها لما تؤمر به من الخير العظـــيم الذي ضربُ الدفِّ فيه كقطرة سقطت في بحر: "وهل الاســـتعانة على الحق بالشيء اليسير من الباطل إلا خاصة الحكمة والعقل؛ بل يصير ذلك من الحق إذا كان معينًا عليه؛ ولهذا كان لهـــوُ الرجـــل بفرسه وقوسه وزوجته من الحق؛ لإعانته على الشجاعة والجهـــاد والعفَّة، والنفوس لا تنقاد إلى الحق إلا ببرطيل، فإذا برطلت بشـــيء من الباطل لتبذل به حقًا وجوده أنفع لها وخير من فـــوات ذلـــك الباطل كان هذا من تمام تربيتها وتكميلها، فليتأمل اللبيـــب هـــذا

الموضوع حق التأمل؛ فإنه نافعٌ جدًا. والله المستعان [(١)].

ولا أظن أن مثلَ هذا الكلام يحتاج إلى توضيح أو إلى تعليـــق، والذي أَوَدُّ التذكير به هو المقارنة بين كلامه هنا، وكلامه المنقـــول من إغاثة اللهفان عن حكم المعازف والمزامير والغناء ليظهـــر مـــن خلالها فقه ابن القيم الدعوي المدرك لقيمة ومعـــنى إدراك نفســـية المدعو، ومعاملته معاملة تتناسب وحاله ومستواه العلمي والعقلـــي، وهل يستوي الحديث للرجال بالحديث للنساء، أو الحديث للنساء بالحديث للأطفال؛ إن لكلٍّ موقف مع هؤلاء طبيعة وخاصية دقيقة، يستطيع «الحكم» أن يجلب أقصى ما يمكن من المصـــلحة، وعينـــه الأخرى ترقب المفاسد؛ فلا يتسبَّب جلبه للمصالح إلى جلب مفاسد أكبر.

فمن يأخذ بحديث تحريم المزامير والمعازف الســـابق ويطبقـــه ويغفل عن بقية الأحاديث الأخرى، فهو لا شك يطبِّق نصًّا نبويًّا؛ ولكنَّه غفل عن نصوص أخرى؛ لكن الحكمة تقتضي المواءمة بـــين النصوص كلها والتفريق بين فرد وآخر، ومتى كانت نفوس الصبيان والنساء والجواري كالكبار من الرجال العقلاء!

وإن النفوس التي غنَّت في بيت عائشة، والنساء اللاتي ضـــربن بالدفِّ عند الرسول ﷺ فرحًا بقدومه، إنما يُظهرون فرحهم بذلك، وهكذا كان فرحُ هؤلاء الصغار والنساء «الذين لا تحتمل عقـــولهم الصبر تحت محض الحق؛ فكان إقرارهم بالترخيص لهم في هذا القدر

(١) ابن القيم الجوزية، الكلام على مسألة السماع من ص ٣١١، ٣١٤.

مصلحة لهم، ذريعة إلى انبساط نفوسهم وفرحهم بالحق؛ فهو من نوع الترخيص في اللعب للبنات وما شاكل ذلك، وهذا من كمال شريعته ومعرفته بالنفوس، وما تصلح عليه، وسوقها إلى دينه بكل طريق، وفي كلِّ واد؛ ومن المعلوم أن النفوس الضعفاء والعقول الضعيفة إذا حملت على محض الحق وحمل عليها ثقله، تفسخت تحته واستعصت و لم تنقد، فإذا أعطيت شيئًا من الباطل ليكون لها عونًا على الحق ومنفذًا له كان أسرع لقبولها وطاعتها وانقيادها» (١).

الصورة الرابعة:

١- قال عبد الله بن عمرو بن العاص — رضي الله عنهما : بلغ النبي ﷺ أني أصوم وأَسْرُدُ، وأصلي الليل؛ فإما أرسل إليَّ وإما لقيته. فقال: «**ألم أخبر أنك تصوم ولا تفطر وتصلي الليل، فلا تفعل؛ فإنَّ لعينك حظًّا، ولنفسك حظًّا، ولأهلك حظًّا، فصم وأفطر وصلِّ ونم** ... الحديث» أخرجه مسلم. (٢)

هذا الحديث يحفظه الكثير من الناس، ويتقنون الاستشهاد به في موقعه، وفي غير موقعه؛ يحفظونه: «**فلا تفعل فإن لعينك حظًا ولنفسك حظًا ولأهلك حظًا**». ويغفلون عن مقدمة الحديث وأوله؛ بل ويغفلون أيضًا عن أحاديث كثيرة تحدَّثت عن الموضوع ذاته؛ وهو الترغيب في الإكثار من الطاعات، فإذا ما رأوا رجلاً

(١) ابن القيم الجوزية، الكلام على مسألة السماع من ص ٣٠٠ — ٣٠١.

(٢) الإمام مسلم، صحيح مسلم ج٢ ص ٨١٥ كتاب الصيام باب النهي عن صوم الدهر.

يكثر من الصيام أو الصلاة أو سائر الطاعـــات الأخـــرى بـــادروا بنصحه، مستندين في نصحهم له إلى حديث الرســـول ﷺ؛ وهـــو استدلال ينقصه «الحكمة» وتقدير الموقف ومعرفة «طبيعة المدعو»؛ فهل كان الرسول ﷺ يقول هذا لكل فرد؛ أم قاله فقط لعبد الله بن عمرو بن العاص الذي كان يسرد الصوم ويصلي الليل؟! أما غـــيرُ عبد الله فإن الرسول ﷺ كان يحثُّه ويرغِّبه في الإكثار من الطاعات.

٢- فعن عليٍّ بن أبي طالب — رضي الله عنه — أن رسول الله ﷺ طَرَقَه وفاطمة بنت النبي ﷺ ليلةً فقال: ألا تصليان؟! فقلت: يا رسول الله، أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا. فانصرف حـــين قلنا ذلك، و لم يرجع إليَّ شيئًا، ثم سمعته وهو مُوَلٍّ يضرب فخـــذَه وهو يقول: «**وكان الإنسان أكثـــر شـــيء جـــدلاً**». أخرجـــه البخاري[1].

٣- عن حفصة — رضي الله عنها — أن رسول الله ﷺ قـــال: «**نعم الرجل عبد الله** - أي ابن عمر - **لو كان يصلي من الليل**». فكان بعد لا ينام من الليل إلا قليلاً، أخرجه البخاري [2].

فالرسول ﷺ يطرق بيت عليّ — رضي الله عنه — ويرغب في قيام الليل، ويتمنى على ابن عمر — رضي الله عنهما — لو يكثر من قيام الليل، في حين أنه مع عبد الله بن عمرو — رضي الله عنهما — يقول له: «لا تفعل»! لكن لا تفعل ماذا؟ الإكثار من العبـــادة إلى

(١) الإمام البخاري، صحيح البخاري ج٢، ص ٤٢، كتاب رقم ١٩، باب رقم (٥).
(٢) المرجع السابق ص ٤٢ باب رقم (٢).

الحدِّ الذي يجعلك تضيِّع عبادات أخرى هي أوجب؛ مثل تضـــييع حق النفس والزوج والضيف .. إلخ؛ أما أن تقال «لا تفعل» لكـــل شخص فهذا هو الخطأ المحض؛ وهو استعمال للنصِّ في غير موضعه وفقدان للحكمة المطلوبة في فقه الدعوة.

الصورة الخامسة:

هناك العديد من أساليب الدعوة، والداعي إلى الله بين يديه هذه الأساليب ينتقي منها ما يناسب المدعو، ومن خلال انتقائه وتقويمه للموقف تظهر حكمته في الدعوة إلى الله – سبحانه وتعالى.

وفي هذه الصورة تتردَّد الحكمة في الدعوة إلى الله بـــين إثـــارة العاطفة أو العقل أو استخدام القوة؛ فقد يكون موقف إثارة العاطفة أجدى وأعمق تأثيرًا، وقد تكون المجادلة والمحاورة العقلية لها الأثـــر البالغ حسب نوعية وطبيعة من تتحدث إليه، وقد تجد أيضًا أن القوة والتلميح بها أو استخدامها الأكبر تلاؤمًا وانسجامًا مـــع تحقيـــق الحكمة في الدعوة إلى الله:

١– عن أبي أمامة الباهلي – رضي الله عنه – قال: «إن فـــتى شابًا أتى إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا. فأقبـــل القوم عليه فزجروه وقالوا: مه مه. فقال: «**ادنه**». فدنا منه قريبًـــا، قال: فجلس، قال: «**أتحبُّه لأمِّك!**» قـــال: "لا والله، جعلـــني الله فداءك". قال: «**ولا الناس يحبونه لأمهـــاتهم**». قـــال: «**أفتحبـــه لابنتك!**» قال: لا والله يا رسول الله جعلني فـــداك. قـــال: «**ولا الناس يحبونه لبناتهم**». قال: «**أفتحبه لأختك!**». قـــال: لا والله،

جعلني الله فداك. قال: «**ولا الناس يحبونـــه لأخـــواهم**». قـــال: «**أفتحبه لعمتك!**» قال: لا والله، جعلني الله فـــداك. قـــال: «**ولا الناس يحبونه لعماهم**». قال: «**أفتحبه لخالتك!**» قـــال: لا والله، جعلني الله فداك. قال: «**ولا الناس يحبونه لخالاهم**». قال: فوضـــع يده عليه، وقال: «**اللهم اغفر ذنبه، وطَهِّر قلبَه، وحَصِّن فَرْجَه**». فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء. أخرجه أحمد (١).

فالرسول ﷺ يريد أن يبيِّن له وجهَ الحقِّ بما يلائمه، فاختار لـــه طريق إثارة العاطفة والعقل والغيرة على المحارم، حتى شعر أن المجتمع يتكون من أمه أو أمهات الناس، أو بنته أو بنات الناس، أو أخته أو أخوات الناس، وكلٌّ فرد لا يرضى بالزنا لقريبته؛ فكمـــا أن هـــذا الفتى ينفر من أعماق شعوره وإحساسه من الحديث عن زنا أمه أو ابنته، فينبغي أن ينفر عن الزنا بأمهات الناس أو بناهم.

٢- عن أبي هريرة — رضي الله عنه — أن رسول الله ﷺ جاءه أعرابي فقال: «يا رسول الله، إن امرأتي ولدت غلامًا أسود، فقال: هل لك من إبل؟ قال: نعم. قال: ما ألواهما؟ قال: حمر: قال: هـــل فيها من أورق؟ قال: نعم قال: فإني كان ذلك؟ قـــال: أراه عـــرق نزعه، قال فلعل ابنك هذا نزعه عرق». أخرجه البخاري (٢).

وفي هذا هل يزيل الرسول، ﷺ، الشك بالموعظة أو بالترغيب؟

---

(١) الإمام أحمد، مسند الإمام أحمد، ٥/ ٢٥٦، وقال الشيخ الألبانيُّ في الصحيحة ٣٧٠: (وهذا سند صحيح، رجالُه كلُّهم ثقات، رجال الصحيح).

(٢) البخاري، صحيح البخاري ٨/ ٣١ كتاب رقم ٨٦ باب ٤١.

أم بحوار عقلي ثم بتشبيه من بيئة الأعرابي نفســـه. ببيئـــة يعرفهـــا ويعايشها ويراها صباح مساء، إنها توالد الإبل واختلاف ألوانها.

وكان السؤال هو الأسلوب الملائم لهذا الأعرابي، حتى جعلـــه الرسول، ﷺ، يجيب بنفسه عن سؤاله، ويخرج وهو مقتنع يتـــذكر الإجابة كلما رأى الإبل أمامه في المرعى، فلا يبقـــى في قلبـــه أدنى شك أو شبهة أو ريب، ومصدر هذا ليس إلا من حســـن اختيـــار الأسلوب، وهو الحكمة المطلوبة للدعاة.

٣- عن سلمة بن الأكوع – رضي الله عنه - «أن رجلاً أكل عند رسول الله، ﷺ، بشماله فقال: كل بيمينك، قال: لا أستطيع. قال: لا استطعت، ما منعه إلا الكبر، قال: فما رفعهـــا إلى فيـــه» أخرجه مسلم (١).

فهذا هل ينفع معه الحوار، أو إثارة العاطفة، إنـــه مســـتكبر، فلذلك لا مجال إلا القسوة، ليعرف منزلته ومقامه، وبالتالي إزالة دائه وهو الكبر.

٤- عن أبي الدرداء – رضي الله عنه - «أن رجلاً شكي إلى رسول الله، ﷺ، قسوة قلبه، فقال له: أتحب أن يلين قلبك، وتدرك حاجتك، ارحم اليتيم، وامسح رأسه، وأطعمه من طعامـــك يلـــن قلبك، وتدرك حاجتك» (٢).

---

(١) صحيح مسلم ٣/ ١٥٩٩ رقم ٢٠٢١.

(٢) صحيح الجامع للألباني رقم ١٤٢٣ ج ٢ ص ٣ وحسنه مع اختلاف في اللفظ عن أبي هريرة وسلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني رقم ٨٥٤ ج ٢/ ٤٣٢. وانظر سبب =

فليس في هذا براهين عقلية ولا أدلة، وإنما فقط توجيـــه نحـــو سلوك معين، فهو طالب قاصد باحث عن الخير، يحتاج فقط إلى من يدله عليه، بإشارة هادية فحسب.

٥- عن عبادة بن الصامت — رضي الله عنه - «أن رســـول الله، ﷺ، بعثه على الصدقة فقال له: اتق الله يا أبا الوليد لا تأتي يوم القيامة ببعير تحمله له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاه لها ثؤاج [1]، فقال: عبادة يا رسول الله إن ذلك كذلك، قال: إي والذي نفسي بيده إلا من رحم الله قال: والذي بعثك بالحق، لا أعمل على اثنين أبدًا أي لا آلي الحكم على اثنين، ولا أتأمر على أحد».

وهل تنفع الموعظة في كل فرد، كما فعلت في أبي الوليـــد — رضي الله عنه — بل لماذا لم يقل الرسول، ﷺ، للشـــاب، الـــذي يستأذن في الزنا، لماذا لم يقل الرسول، ﷺ، اتق الله؟ ولماذا لم يقـــل الرسول، ﷺ، للأعرابي الذي ظن السوء بزوجته لما ولـــدت ولـــدًا يختلف لونه عن لون أبيه؟ لماذا لم يقل له اتق الله؟ فإنها أعـــراض محرمة، بل سلك مع هؤلاء المسلك العقلي، وهنا أثار العاطفة في أبي الوليد تخويفًا من سوء العاقبة، إنها الحكمة التي تقتضي التفريق بـــين الأشخاص، ففلان تناسبه المجادلة العقلية، وآخر القوة هي الأسلوب =

هذا الحديث في ابن حمزة الحسيني الحنفي، البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث ١/ ٥٩، ٦٠.

(١) صحيح الجامع للألباني رقم ٩٨ ج ١ ص ٨٦ وصححه، وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني رقم ٨٥٧ ج ٢ ص ٤٣٦، وانظر سبب هذا الحديث في ابن حمزة الحسيني الحنفي، البيان والتعريف في اسباب ورود الحديث ١/ ٦٨ وفيه بقية القصة.

الأمثل، وثالث عليك معه بالترغيب والترهيب، وهذا هو مســـلك الحكمة في الدعوة إلى الله، الموصل إلى أسمـــى وأنجـــح الغايـــات والمقاصد.

المبحث الثاني
تطبيقات الحكمة في الدعوة إلى الله
باختلاف الموضوع

لا شك أن الداعية يدعو إلى دين الله «الإسلام» لكن الداعي وهو يتحدث عن هذا الدين تجده مرة يـــدعو إلى العقيـــدة أو إلى تصحيح العقيدة. وقد يدعو في موقف آخر إلى العبادات العمليـــة وفقهها، ثم يتحدث في موقف آخـــر عـــن المعـــاملات والعقـــود والعهود... الخ. وبالتالي فهو سينتقل من موضوع إلى آخر، وفـــق حاجة المجتمع الذي يبتغي التغيير فيه، وسيصادف في دعوته هذه من يستجيب كليًا وينساق معه باقتناع تام دون تردد تأثرًا بدعوتـــه، ومنهم من يأخذ بعضًا ويترك آخر، ومنهم من يردها جملـــة لأن في أذنيه وقرًا، وعلى بصره غشاوة، وموضوع حديثنا في هذا المبحث إنما هو النوع الثاني فحسب، متى نقبل منهم هذه التجزئة؟ ومـــتى نردها؟ متى تقتضي الحكمة قبول ما قبلوه والسكوت عما أعرضوا عنه إلى حين؟ إن معاملة النوع الثاني كثيرًا ما تختلط بمعاملة النـــوع الأول، فيلتبس الأمر وتخفى الحكمة، وتتداخل أجزاء «الرســـالة» بعضها ببعض وفي الصور التالية محاولة لتجلية الموقف، وتمييز لمواطن الحكمة، من واقع تتبع سيرة الرسول، ﷺ، وخلفائه الراشدين:

الصور ة الأولي:

١- جاء وفد ثقيف إلى رسول الله، ﷺ، بعد غـــزوة تبـــوك، وكانوا على شركهم، وجادلوا الرسول، ﷺ، جدالاً طويلاً حـــتى

أسلموا، وفرغوا من كتابهم، وقد كانوا فيما سألوه رسول الله، ﷺ، أن يدع لهم الطاغية وهي اللات لا يهدمها ثلاث سنين، فأبى رسول الله، ﷺ، ذلك عليهم، فما برحوا يسألونه سنة سنة ويأبى عليهم أن يدعها شيئًا مسمى، وإنما يريدون بذلك فيما يظهرون أن يسلموا بتركها من سفهائهم ونسائهم وذراريهم، ويكرهون أن يروعوا قومهم بهدمها حتى يدخلوا الإسلام، فأبى رسول الله، ﷺ، إلا أن يبعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة فيهدماها، وقد كانوا سألوه مع ترك الطاغية أن يعفيهم من الصلاة، وأن لا يكسروا أوثانهم بأيديهم، فقال رسول الله، ﷺ،: «**أما كسر أوثانكم بأيديكم فسنعفيكم منه، وأما الصلاة فإنه لا خير في دين لا صلاة فيه**» (1).

فمكث الوفد يختلفون إلى رسول الله، ﷺ، وهو يدعوهم إلى الإسلام، فأسلموا، فقال كنانة بن عبد ياليل: هل أنت مقاضينا حتى نرجع إلى قومنا؟ قال: نعم، إن أنتم أقررتم بالإسلام أقاضيكم، وإلا فلا قضية ولا صلح بيني وبينكم، قال: أفرأيت الزنا فإنا قوم نغترب ولابد لنا منه؟ قال هو عليكم حرام، فإن الله – عز وجل – يقول: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾. [الإسراء، آية ٣٢].

(١) ابن هشام سيرة النبي، ﷺ، ج٤ ص ١٩٧. وقال الألباني في تعليقه على فقه السنة للغزالي في هذا الموضوع [ضعيف ذكره ابن هشام [٢/٣٢٥، ٣٢٦] عن ابن اسحاق مفصلاً والجملة الأخيرة وصلها أبو داود ٢/ ٤٢ وأحمد ٥/ ٢١٨ عن الحسن عن عثمان بن أبي العاص مرفوعًا نحوها ورجاله ثقات لكن الحسن – وهو البصري – مدلس وقد عنعنه في فقه السيرة الغزالي ص ٤١٧.

قالوا: أرأيت الربا فإنه أموالنا كلها؟ قال: لكم رؤوس أموالكم، إن الله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾. [البقرة، آية ٢٧٨]. قال: أفرأيت الخمر؟ فإنه عصير أرضنا لابد لنا منها؟ قال: إن الله قد حرمها وقرأ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾..... الخ [1].

فلم يقبل الرسول، ﷺ، تأجيل هدم اللات، و لم يقبل الدخول مع وفد ثقيف حتى يسلموا، ثم لم يقبل المفاوضات في أمر الزنا والربا والخمر، إنها أمور قطعية لا تقبل التفاوض فهي الإسلام، وتأخيرها أو تأخير بعضها معناه رد الإسلام، ولا يصلح الإسلام إلا بها، فهو جاء مضادًا لبقاء صرح اللات، بل إن غايته هدم عرش اللات في الأرض، وهدم عرشها في القلوب.

ومثل هذا الموقف نرى موقفًا آخر وقفه جعفر بن أبي طالب – رضي الله عنه – على النحو التالي:

٢- أذن الرسول، ﷺ، لصحابته بالهجرة إلى الحبشة مرة ثانية، لما رأى إيذاء قريش يشد على أصحابه، فهاجر مجموعة فيهم جعفربن أبي طالب – رضي الله عنه – وعز على المشركين أن يجد المهاجرون مأمنًا لأنفسهم ودينهم في الحبشة، فبعثوا رجلين هما: عمرو بن العاص، وعبد الله بن أبي ربيعة، فقدما على النجاشي يحملان الهدايا، وبعد حديث معه استدعى جعفرًا وأصحابه وسمع

(١) ابن القيم، زاد المعاد ج٣ ص ٥٩٦ – ٥٩٧.

منهم، ثم أثنى عليهم، ووعد بحمايتهم ورد وفد قريش، لكن عمرو بن العاص كان حريصًا على إيقاع الأذى بالصـــحابة، فرجـــع إلى النجاشي وقال له: إنهم يقولون في عيسى بن مريم قـــولاً عظيمًـــا، فأرسل إليهم النجاشي يسألهم، ففزعوا وأجمعوا على الصدق كائنًا ما كان، فلما دخلوا عليه وسألهم، قال له جعفر: نقول فيه الـــذي جاء به نبينا محمد، ﷺ،: هو عبد الله ورسوله، وروحه وكلمتـــه، ألقاها إلى مريم العذراء البتول، فضرب النجاشي بيـــده في الأرض فأخذ منها عودًا، ثم قال، والله ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود: قال فتناخرت البطارقة، فقال: وإن نخرتم والله، اذهبوا أنـــتم شيوم، «والشيوم الآمنون» [1].

وهذا الموقف لا يقبل المساومة أو التراجع، أو إخفاء، أو تأجيلاً لبعض الحقائق، يقول أبو الحسن الندوي:

لو أن رجلاً مكان جعفر بن أبي طالب – رضي الله عنـــه – فواجه مثل هذه الأزمة والمشكلة الطريفة، لم يكن غريبًا أن يـــداهن أو يحابي أو يراعى دقة الموقف، ويجيب جوابًا سياسيًا، ويخرج مـــن هذا المضيق بكلمة لبقة لا تصرح ببشرية عيسى بن مريم، وقد كان بليغًا حاضر البديهة متصرفًا في الكلام، ولكنه كان ممثلاً للعقيـــدة الإسلامية الصافية خير تمثيل، قائمًا في هذا المجلس الملكـــي مقـــام

(١) مسند الإمام أحمد ١/ ٣٠٢، ٢٠٣ وقال أحمد بن عبد الرحمن البنا في بلوغ الأماني ٢٠/ ٢٢٩ (الحديث صحيح ورواه ابن هشام في سيرته عن ابن اسحاق وأورده الهيثمي وقال رواه أحمد ورجاله، رجال الصحيح غير ابن اسحاق وقد صرح بالسماع).

الرسل والأنبياء من غير رسالة ولا نبوة، فما كان له أن يـــداهن أو يمزج الحق بالباطل، فجاء بكلام صريح وواضح، ولكن في بلاغـــة وحكمة، وفي اتزان وتناسب دقيق، وكلام فصل لا فضول فيه ولا تقصير، فكان عاقبة هذا الإخلاص والصدق، ونتيجة هذه البلاغـــة والحكمة، أنه خرج من هذا المأزق منتصرًا كريمًا سليمًا وكســـب المعركة [(١)].

٣- عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: «توفي رسول الله، ﷺ، واستخلف «أبو بكر» الصديق بعده وكفر مـــن كفـــر مـــن العرب، قال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – لأبي بكر، كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله، ﷺ،: أمرت أن أقاتل الناس حـــتى يقولوا: لا إله إلا الله؟ فمن قال: لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه، وحسابه على الله – عز وجل – فقال أبـــو بكـــر: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقًا كانوا يؤدونها إلى رســـول الله، ﷺ، لقاتلتـــهم علـــى منعها، فقال عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – فوالله ما هـــو إلا أن قد شرح الله صدر أبي بكر – رضي الله عنه – فعرفـــت أنـــه الحق». أخرجه البخاري [(٢)] وأبو داود [(٣)].

هذه مواقف اعترضت طريق الدعوة، لم تواجـــه بالتنـــازل أو

---

(١) أبو الحسن الندوي، روائع من أدب الدعوة ص ١٢٦.

(٢) صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري لابن حجر ٣/ ٢٦٢ الزكاة باب وجوب الزكاة.

(٣) الألباني صحيح سنن ابي داود ج١ ص ٢٩٠ رقم ١٣٧٦.

التجزئة، فها هو ذا الرسول، ﷺ، يقف من شروط ثقيف السابقة موقفًا ثابتًا، يلين فيما لا بأس به، ولا ضرر منه ويشتد في الأمور التي لا يجوز فيها اللين، وإننا لنرى أن الشروط متفاوتة في طبيعتها، فمنها ما يتصل بصميم العقيدة، ومنها ما يتعلق بأمور العبادة، ومنها شكلي صوري، واختلف موقف الرسول، ﷺ، في كل منها بحسب موضوعه، لينًا وشدةً، فأعفاهم من تكسير أصنامهم بأيديهم، ولم يقبل تأخير الصلاة، ولا تأخير كسر الأصنام، لأن إقرارها ولو للحظة واحدة، اعتراف بصورة من صور الوثنية، وذلك مهما كان فهو تشويه لجلال التوحيد الصافي النقي [1].

وعلى هذا النهج، كان موقف جعفر بن أبي طالب – رضي الله عنه – ومثله موقف أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – بعد أن أصبح خليفة، فلم يتهاون في أمر مانعي الزكاة، بالرغم من كثرتهم وقلة المؤيدين له على هذا الرأي. لكنه الفقه في الدعوة، والحكمة في معرفة ما يقبل التنازل وما لا يقبله، ومنه: «ما يقطع بأن الشرع لم يبح منه شيئًا لا لضرورة، ولا لغير ضرورة كالشرك والفواحش، والقول على الله بغير علم، والظلم وهي الأربعة المذكورة في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. [سورة الأعراف، آية ٣٢].

فهذه الأشياء محرمة في جميع الشرائع، وبتحريمها بعث الله جميع

---

(١) انظر، محمد السيد الوكيل، تأملات في سيرة الرسول، ﷺ، ٢٩١/ ٢٩٢.

الرسل، ولم يبح منها شيئًا قط، ولا في حال من الأحوال [١].

«فيجب الفرق في الواجبات والمحرمات والتمييز بينـــهما هـــو اللازم لكل أحد، على كل حال، وهو العدل في حق الله، وحـــق عباده، بأن يعبدوا الله مخلصًا له الدين، ولا يظلم الناس شيئًا، ومـــا هو محرم على كل أحد في كل حال، لا يباح منها شـــيء، وهـــو الفواحش والظلم والشرك والقول على الله بلا علم – وبـــين مـــا سوى ذلك» [٢].

٤- في حديث مقدم النبي، ﷺ، إلى مكة، الذي انتهى بصـــلح الحديبية، ورد في صحيح البخاري - رحمه الله تعـــالى – في ذكـــر بعض القصة: عن المسور بن مخرمة ومروان، يصدق كـــل واحـــد منهما حديث صاحبه، قالا: «خرج رسول الله، ﷺ، زمن الحديبية، حتى كانوا ببعض الطريق، إلى أن قال: وسار النبي، ﷺ، حـــتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها، بركت به راحلته، فقال النـــاس حل حل، فألحت، قالوا خلأت القصواء، خلأت القصواء، فقـــال النبي، ﷺ، ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخلق، ولكن حبســـها حابس الفيل، ثم قال: «والذي نفسي بيـــده، لا يســـألوني خطـــة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها .. الحديث» أخرجـــه البخاري [٣].

---

(١) ابن تيمية، الفتاوى ج – ١٤ ص ٤٧٠.

(٢) المرجع السابق ص ٤٧٧.

(٣) البخاري صحيح البخاري ٣/ ١٧٨ كتاب الشروط رقم ٥٤ باب رقم ١٥.

فها هو ذا الرسول، ﷺ، يقسم في هذا الموقف، إنهم لا يسألون «خطة» فكرة يعظمون فيها حرمات الله إلا قبلها، فلو أعطوه بعض المطلوب لقبله منهم واكتفى به، فالموقف هنا يقبل التجزئة، وأخـــذ البعض وترك البعض الآخر، ولذلك أدرجه البخاري – رحمـــه الله تعالى – تحت باب: «الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحروب وكتابة الشروط». ولا شك أن معنى المصالحة هـــو التنـــازل مـــن الطرفين، لا أن يكون طرف واحد يأخذ، والآخر يعطي، فقط وإلا كان استسلامًا لا مصالحة، ويقول ابن القيم – رحمه الله تعالى – في ذكر فوائد هذا الحديث: «ومنها أن المشركين وأهل البدع والفجور والبغاة والظلمة، إذا طلبوا امرًا يعظمون فيه حرمة من حرمـــات الله تعالى، أجيبوا إليه وأعينوا عليه، وإن منعوا غيره» إلى أن قال: «مـــا لم يترتب على إعانته على ذلك المحبوب مبغوض لله أعظـــم منـــه، وهذا من أدق المواضع وأصعبها» (١). ولعل في هذا ردًا على مـــن يقول: «خذوا الإسلام جملة أو دعوه» (٢). فليس هذا في كل عقائد الإسلام وشرائعه، بل هناك بعض المواقف التي يحسن بالداعيـــة أن يدرك أن المطالبة بالإسلام جملة أو تركه جملة، إضـــرار بدعوتـــه ومخالفة لموقف الحكمة المطلوبة في تقدير الموقف والموضوع الدعوي المقصود.

---

(١) ابن القيم، زاد المعاد ج٣ ص ٣٠٣.

(٢) قائل هذه العبارة كاتب كبير وداعية إسلامي مشهور له منزلته ومكانته ولكن الحق أحق أن يتبع، وإن فيما شرحه تحت هذا العنوان حق كثير لكن لا تزال العبارة بإطلاقها هذا غير مسلمة.

وكما كان موقف المتنبي الشاعر الذي قال بيتًا واحــدًا، ثم لم يقبل التنازل عنه، فأودى هذا البيت بحياته، فإن أبا الطيب لما أحاط به أعداؤه خارج بغداد، قال له غلامه — أو أعداؤه — لا يتحــدث الناس عنك بالفرار أبدًا وأنت القائل:

فالخيــل والليــل والبيــداء تعــرفني
والحرب والضــرب والقرطــاس والقلــم

فكر راجعًا حتى قتل وكان سبب قتله هذا البيت (١).

وكان بإمكانه الفرار والنجاة بحياته، ولكنه أصر على شيء من الحكمة عدم الإصرار عليه، فكانت نهايته فيه!!

٥- وفي موقف صلح الحديبية أيضًا، جاء في صحيح البخاري: «فدعا النبي، ﷺ، الكاتب، فقال النبي، ﷺ، اكتب بسم الله الرحمن الرحيم، فقال سهيل، أما الرحمن فوالله ما أدري ما هــو؟ ولكــن اكتب باسمك اللهم، كما كنت تكتب، فقــال المســلمون والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم، فقال النبي، ﷺ، اكتب باسمــك اللهم، ثم قال: هذا ما قاضي عليه محمد رسول الله، فقال ســهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صــددناك عــن البيــت، ولا قاتلناك، ولكن اكتب محمد بن عبد الله، فقال الــنبي، ﷺ، والله إني لرسول الله وإن كذبتموني، اكتب محمد بن عبد الله، قال لقومه لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها. فقــال لهم النبي، ﷺ، على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به، قال سهيل

(١) انظر ابن خلكان، وفيات الاعيان ج١ ص ١٢٣.

والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة، لكن ذلك من العام المقبل فكتب».. الحديث، أخرجه البخاري (١).

فها هم الصحابة – رضوان الله عليهم – يحاولون منع الرسول، ﷺ، من بعض التنازلات، ولكن الرسول، ﷺ، وهــو يعلــم أنهــا تنازلات شكلية لا قيمة لها، ولا تؤثر في الموضوع، تجاوز عنها، و لم يسمع لآراء الصحابة حولها.

٦- إن وفد نجران قدم على النبي، ﷺ، فدخلوا عليه في المسجد بعد صلاة العصر، فحانت صلاتهم، فقاموا يصــلون في المســجد، فأراد الناس منعهم، فقال رسول الله، ﷺ، دعوهم فاستقبلوا المشرق فصلوا صلاتهم (٢).

وإن من فقه الدعوة أن يتنازل الداعي عن بعض ما يدعو إليه، ليحقق كسب المدعو واستمالته إليه، في بعض المواقف التي تقبل هذا التنازل، مما هو خارج إطار العقيدة، أو أركان هذا الدين، يقول ابن تيمية – رحمه الله تعالى -: «فإذا لم يحصل النور الصــافي بــأن لم يوجد إلا النور الذي ليس بصاف، وإلا بقي الإنسان في الظلمــة، فلا ينبغي أن يعيب الرجل وينهي عن نور فيه ظلمة، إلا إذا حصل نور لا ظلمة فيه» (٣).

---

(١) البخاري، صحيح البخاري .. الحديث ج ٣ ص ١٠٠، باب رقم ٥٤ باب رقم١٥.
(٢) انظر ابن القيم، زاد المعاد ٣/ ٦٢٩ وقال عنه المحقق: «رجاله ثقات لكنه منقطع».
(٣) ابن تيمية، الفتاوى ١٠/ ٣٦٤.

ويقول – رحمه الله تعالى – في موضع آخـــر: «ويســـتحب للرجل أن يقصد إلى تأليف هذه القلوب، بترك هذه المســـتحبات، لأن مصلحة التأليف في الدين، أعظم من مصلحة فعل مثل هـــذا، كما ترك النبي، ﷺ، تغيير بناء البيت، لما رأي في إبقائه من تـــأليف القلوب، وكما أنكر ابن مسعود – رضي الله عنه – على عثمان – رضي الله عنه – إتمام الصلاة في السفر، ثم صلى خلفه متمًا، وقال: «الخلاف شر» [(١)].

إذن هناك مسائل في الدين تقبل التأجيل، بل تقبـــل التعمـــد بالترك تأليفًا وتحقيقًا لمصلحة أعظم وتدرجًا في البلاغ والـــدعوة، «لأن الشيء إذا كان في ابتدائه سهلاً، حبب إلى من يدخل فيـــه، وتلقاه بانبساط، وكانت عاقبته غالبًا الازدياد، بخلاف ضده» [(٢)].

إن هذا التنازل والتدرج، ومراعاة الحكمة في الدعوة والتفريق بين موضوع وموضوع، ورسالة ورسالة منضبط بقاعدة المـــداراة والمجاراة، التي لا يكون فيها إضرار بالدين، ولا مصادمة للنصوص، ولا تلبيس أو تزيين لقبيح أو باطل، يقول ابن حجر – رحمه الله – : «وضابط المداراة أن لا يكون فيه قـــدح في الـــدين، والمداهنـــة المذمومة، أن يكون فيها تزيين القبيح، وتصـــويب الباطـــل ونحـــو ذلك». [(٣)]

(١) ابن تيمية، القواعد النورانية الفقهية ص ٤٣.
(٢) ابن حجر فتح الباري ج ١ ص ١٧٣ طبعة مصطفي الحلبي عام ١٣٨٧هـ.
(٣) ابن حجر، فتح الباري ١٣/ ٥٢/ ٥٣.

ولعل الأمر بعد ذلك اتضح، وتمايز الموضوع، الذي لا يقبـــل التنازل من سواه، مما يقبل التفاوض، وكذا ما يقبل التفاوض فلابد أن يكون بمداراة لا تحرج داعيًا أو موضوعًا، ولا تـــزين بـــاطلاً أو قبيحًا.

المبحث الثالث
تطبيقات الحكمة في الدعوة إلى الله
باختلاف الوسيلة والظروف المحيطة

الداعية له وسائله العديدة في إيصال وتبليغ دعوته للناس، ولكل وسيلة زمانها ومكانها الملائم لها. فمن الوسائل ما يصلح لزمان ولا يصلح لزمان آخر، وقد تكون هذه الوسيلة مثمرة في وقت، لكنها في وقت آخر تصبح مثار سخرية واستهزاء، ودلالة ضعف وذل.

وكما أن الداعية يدرك طبيعة الوسيلة التي يتناول بها دعوتـــه، فكذلك هو أيضًا واعٍ للظروف والأحوال المحيطة به، التي لها تأثيرها في الإقدام أو التوقف، أو السر أو الجهر.. الخ.

ولذلك سأعرض صورًا تبين تطبيقات للحكمة في الـــدعوة إلى الله، تختلف باختلاف الوسيلة، وباختلاف ما يحيط بالـــدعوة مـــن ظروف وأحوال.

الصورة الأولى:

١- يقول الله – سبحانه وتعالى – لنبيه، ﷺ، ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِـــالَّتِي هِـــيَ أَحْسَـــنُ﴾ [سورة النحل، آية ١٢٥]. وهذا أمر من الله – سبحانه وتعالى – لنبيه، ﷺ، وأمر أيضًا للدعاة من بعده، بالدعوة بالحكمة والموعظـــة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن.

٢- يقول تعالى واصفًا محمدًا، ﷺ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِـــنْ

أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾. [سورة التوبة، آية ١٢٨]. فهذه صفته، ﷺ، عزيز عليه الذي يشق على أمته حريص عليهم، رؤوف رحيم بالمؤمنين.

٣- ويقول تعالى عن نبيه، ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾. [سورة آل عمران، آية ١٥٦].

هذه صفات الداعية الأول، ﷺ، حكيم، رؤوف رحيم، ليس فظًا ولا غليظ القلب، لكن هل هذا على إطلاقه، وفي كل الأحوال والظروف، إن بعض الظروف والأحوال قد تجعل الرحمة ضعفًا، وليس حكمة، والشدة حكمة، فاللين في وقت اللين حكمة، والشدة وقت الشدة أيضًا حكمة، لكن اللين وقت الشدة ضعف، والشدة وقت اللين فظاظة.

ولذلك لما جاء وقت الشدة رأينا الرسول، ﷺ، يتعامل مع ثلاثة من خيار صحابته – رضوان الله تعالى عليهم – تعاملاً يختلف.

٤- فقد جاء في صحيح البخاري [(١)] في قصة الثلاثة الذين خُلِّفوا في غزوة تبوك، أن الرسول، ﷺ، لما رجع من الغزوة، قبل أعذار المنافقين، ووكل سرائرهم إلى الله – سبحانه وتعالى – واستمع إلى أعذار الثلاثة الذين تخلفوا عن الذهاب معه، إلى الغزوة ثم لما لم يذكروا أعذارًا تبيح لهم التخلف، أمر الناس بهجرهم حتى

(١) البخاري، صحيح البخاري ج٥ ص ١٣٠ كتاب ٦٤ باب ٧٩.

ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، وضاقت عليهم أنفسهم، وظنـــوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه. ثم أمرهم أن يعتزلوا نساءهم، ومكثـــوا على هذا الحال خمسين ليلة ثم نزل قوله تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِـــيمٌ * وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَـــابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾. [التوبة، آية ١١٨].

لقد ضاقت على هؤلاء الثلاثة الأرض بما رحبت، وأصـــبحت الأرض غير الأرض، والناس غير الناس، من شدة ما لاقوا في أيامهم في أيامهم الخمسين، الحكمة تقتضي العلاج الحاسم لهم ولغيرهم، ثم بعد ذلك وبعد نجاحهم في فترة التمحيص هذه، نزل القرآن بالتوبة عليهم، بل أمر بالاقتداء بهم، فيقول تعالى بعد ذكر قصتهم والتوبة عليهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَـــعَ الصَّـــادِقِينَ﴾. [التوبة، آية ١١٩].

فهذه صورة من صور التعامل، الذي يتبـــدل ويـــتغير وفـــق الظروف الطارئة، يملي هذا التبدل وهذا التغير، الحكمة المبتغاة دائمًا في الدعوة إلى الله – سبحانه وتعالى – وهذا تأكيد لمـــا ســـبق أن أشرت إليه في مقدمة هذا البحث، من أن الحكمة ليست مرادفـــة للرحمة ولا اللين، ولكنها تعني الرحمة في زمن الرحمة فحسب، أمـــا الرحمة في غير وقتها فلا تسمى رحمة، بل قد يساء فهمها، ويظن بها العجز والتقصير عن مواكبة الحدث والتلاؤم المناسب معه.

وقد يقتضي الموقف اللين والتجاوز لمصالح أعظم من تلك التي تحقق بالشدة، أو قد تخاف مساوئ ونتائج الشدة، التي قد تجـــر إلى ما لا تحمد عاقبته، وإن كنا نرى من الرسول، ﷺ، الشـــدة علـــى هؤلاء الثلاثة، فإننا نراه في موقف آخر، يتجاوز ويعفو لآخرين، لا يمكن أن تقارن منزلتهم بمنزلة الثلاثة الذين خلفوا.

٥- إن الرسول، ﷺ، عندما طلب إليه بعض الصحابة، قتـــل المنافقين، لكثرة إفسادهم في المجتمع المسلم في المدينة. قال رســـول، ﷺ،: «**لا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه**». [(١)]. وذلـــك درءًا منه، ﷺ، للفتنة والضرر [(٢)] المترتب على قتلهم، ولما تـــركهم ومرت الأيام، أثبت هذا التصرف أنه تصرف الحكيم، فقـــد جـــاء بعض أهل الذين فيهم منافقون، يســـتأذنون الـــنبي، ﷺ في قتـــل منافقيهم، وعندها قال الرسول، ﷺ: «**أين عمر؟ لو قتلنا هـــؤلاء يوم طلب عمر، لأرعدت لهم أنوف تريد اليوم قتلهم**» [(٣)] فها هو الزمن يتغير، وتظهر حكمة الرسول، ﷺ، في ترك قتل هؤلاء، حتى جاء أقارب المنافقين، يقول ابن قيم الجوزية — رحمـــه الله تعـــالى: «والجواب الصحيح إذن، أنه كان في ترك قتلهم في حياة النبي، ﷺ، مصلحة تتضمن تأليف القلوب على رسول الله، ﷺ، وجمعت كلمة

---

(١) البخاري، صحيح البخاري ج٤ ص ١٦٠ كتاب المناقب باب ما ينهي عنه من دعوى الجاهلية.

(٢) انظر السهار نفوري، بذل المجهود ١٧/ ٤٤٥.

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره ٢٨/ ٧٦ طبعة دار المعرفة وذكره ابن حجر في الفتح ٨/ ٦٥٠ وأورده ابن هشام في السيرة ٣/ ٣٢٧.

الناس عليه، وكان في قتلهم تنفير، والإسلام بعد في غربة، ورسول الله، ﷺ، أحرص شيء على تأليف الناس، وأترك شيء لما ينفـــرهم من الدخول في طاعته، وهذا أمر كان يختص بحال حياته، ﷺ». (١)

والمقصود من هذا إدراك الداعية، أن الحكمة في الدعوة، تقتضـــي مراعاة الأزمان والظروف المحيطة بدعوته. والله الموفق.

الصورة الثانية:

كما أن للوسيلة الدعوية المختارة، تـــأثيرًا في تحقيـــق إيصـــال الرسالة الدعوية بنجاح، فكذلك للظروف المحيطة بحال المدعو أيضًا، دور في تكييف طبيعة ما يقدم للمدعو، أو ما ينبغي أن يأخذ دوره في سلم الأولويات، وهذا فيه فقه دعوي كبير، يقتضـــي معرفـــة نفسيات المدعويين، ومدى تهيؤ هذه النفوس لاستقبال الرسالة، أو أن الموقف يقتضي التريث أو إعادة ترتيب الأوراق، وتقديم بعضها على بعض، أو تأجيل بعضها إلى حين، ولعل في تأمل هذه الصور، ما يوضح أهمية هذا المنحى، ودقة تأثيره، وعلو مكانته، في مرقـــى الحكمة في الدعوة إلى الله – سبحانه وتعالى

١- عن أبي وائل قال: «كان عبد الله (أي ابـــن مســـعود) – رضي الله عنه – يذكر الناس في كل خميس، فقال له رجل: يا أبـــا عبد الرحمن لوددت أنك ذكرتنا في كل يوم، قال؛ أما إنه يمنعني من ذلك، أن أكره أن أملكم وإني أتخولكم بها مخافة السآمة علينا» (٢).

---

(١) ابن القيم، زاد المعاد ٣/ ٥٦٨.

(٢) صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري لابن حجر ١/ ١٦٣ كتاب العلم باب =

فبث هذا العلم والدعوة إليه مطلوب، لكن أن يؤدي هـــذا إلى السآمة، وملل الناس، فهذا هو المحذور، ولذلك كـــان التحـــول في الموعظة والحذر واليقظة، من أن تكون النتائج عكسية، فيقبل مـــتى كانت النفوس مقبلة مصغية، وعندما تنصرف النفوس، فالحكمـــة حينئذ توجب التوقف، ليس عند انصـــراف النـــاس، بـــل قبـــل انصرافهم، وقبل إدخال السآمة عليهم، وكما يحرص الإسلام على بقاء النفوس معلقة به، غير مالّة ولا منصرفة، فإنه كذلك ليحـــرص علي تهيئتها، حتى في البدء، فلا دخول في الصلاة مـــثلاً، مادامـــت النفس منشغلة بأمور أخرى.

٢- عن أنس - رضي الله عنه - يبلغ بـــه الـــنبي، ﷺ، «**إذا حضر العشاء وأقيمت الصـــلاة فابـــدؤوا بالعشـــاء**» أخرجـــه الترمذي(١).

قال أبو عيسى الترمذي (بعده): وعليه العمل عند بعض أهـــل العلم، من أصحاب النبي، ﷺ، منهم أبو بكر وعمر وابن عمر، وبه يقول أحمد وإسحاق، يقولان: يبدأ بالعشاء وإن فاتته الصـــلاة في الجماعة، وقد روى عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قـــال لا نقوم إلى الصلاة وفي أنفسنا شيء.

وروي عن ابن عمر - رضي الله عنهما - عن النبي، ﷺ، أنـــه قال: «**إذا وضع العشاء وأقيمت الصلاة، فابـــدؤوا بالعشـــاء**».

=

من جعل لأهل العلم أيامًا معلومة.

(١) الألباني صحيح سنن الترمذي ١/ ١١ رقم ٢٨٩.

قال: «وتعشى ابن عمر – رضي الله عنه – وهو يســـمع قـــراءة الإمام» أخرجه الترمذي [١].

وإذا كانت النفس داخلها السآمة أو الملل، أو معلقة بأمر آخر، فأنى لها أن تسمع سماع استجابة، وتطبق أو تعمل عمـــل خاشـــع مدرك لما يقول ويفعل، ولهذا جاء في الحديث الآخر، الذي يكمـــل بقية هذا الحديث، قول الرسول، ﷺ: «**لا صلاة بحضرة طعام، ولا هو يدافعه الأخبثان**»[٢].

وهو يجلي بوضوح، أن القضية أو العلة، هـــي الانشـــغال، أو ورود ما يصد النفس عن وارد الخير إليها، والداعية بحكمته وفطنته، يستطيع أن يمايز بين وقت الدعوة أو وقت التوقف والانتظـــار، أو تغيير مسار نشاطه ليتواءم ويتوافق مع تحقيق هدفه وغايته، فإن كان الوقت وقت موعظة، تخوَّل الناس بها، يقول الله تعالى: ﴿فَـــذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى﴾. [سورة الأعلى، آية ٩]. أي «فـــذكر حيثمـــا وجدت فرصة للتذكير، ومنفذًا للقلوب، ووسيلة للبلاغ» [٣]. أليس في هذا ما يشعر بمراعاة الوقت، وطبيعة الموقـــف، هـــل تلائمـــه الذكرى؟ أم لا! ولذلك فإن بعض المواقف لا يناسبها الداعية خطيبًا أو واعظًا أو مذكرًا، وإنما في تقدم ما يرضي رغبة الآخرين: ولعـــل من هذا المعنى ما نراه من الرسول، ﷺ، وهو يشير على طالبي الخير

---

(١) الألباني صحيح سنن الترمذي ١/ ١١١و ١١٢ رقم ٢٩٠.

(٢) حديث صحيح صححه الألباني في صحيح الجامع عن عائشة رضي الله عنها ٦/ ١٩٤ رقم ٧٣٨٥.

(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن، ٦/ ٣٨٩٨.

وملتمسيه، بأن هذا الوقت وقت تقديم الطعام لآل جعفر:

٣- عن عبد الله بن جعفر – رضي الله عنهما – قال: «لما جاء نعي جعفر، قال رسول الله، ﷺ: «**اصنعوا لآل جعفر طعامًا، فقد أتاهم ما يشغلهم، أو أمر يشغلهم**». أخرجه ابن ماجة وحسنه الألباني [(١)].

ففي مثل هذا الوقت التي تنشغل النفوس بمصائبها، ينبغي أن يكون لها ما يعينها على تخفيف مصائبها، والداعية هنا موقفه ليس موقف الناصح الواعظ، وإنما موقف المشاركة والإسهام في تقديم الملائم. والمهم معرفة حاجة من تقصد، وهل نفسه معلقة بشيء عائق من ملل أو جوع أو مصاب أو غيره، والحكمة في إدراك مثل هذا وإعماله إذ كثيرًا ما كان الصد والاعراض من الناس، لأن الداعي لم يدرك سرًا يحول بينه وبين نفوس المخاطبين. وكم رأينا من جهل كبير في هذا الجانب، أضرب له مثالاً، بما نسمعه من بعض النشاطات الدعوية، التي تقوم على توزيع المصاحف والنشرات الدعوية، بين أناس أضناهم الجوع! وماذا يغني المصحف؟ أو النشرة لبطون خاوية، ونظرات شاحبة تتلهف نحو أيد تمتد إليها بكسرة خبز أو فتات طعام. ليس هذا انتقاصًا من قدر المصحف، أو حتى النشرة، ولكن تقديمه لمن هو مشغول عنه بأمر أهم، صرف الأنظار عنه، فكان أقل أحواله هو عدم الالتفاف إليه وعدم المبالاة به. وهذا أثر من آثار تضييع الحكمة في الدعوة إلى الله، في التعرف

(١) الألباني صحيح سنن ابن ماجة ١/ ٢٦٨ رقم ١٣٠٦.

على أحوال من يتحدث إليهم، ويدعوهم وهو يظهر ويبرز قيمـــة الحكمة وعلو مكانتها.

الصورة الثالثة:

في هذه المواقف صور من صور الحكمة في الدعوة إلى الله، التي تتركز في تقدير ما يجد من الظروف والأحوال، التي لها تأثيرهـــا في طبيعة التعامل مع المدعويين على النحو التالي:

١- عن أنس — رضي الله عنه - «أن رجلاً سأل رسول الله، ﷺ، غنمًا بين جبلين، فأعطاه إياها، فأتى قومه فقـــال: أي قـــوم! أسلموا فوالله إن محمدًا ليعطي عطاء ما يخاف الفقر» رواه مسلم[١].

٢- عن ابن شهاب قال: غزا رسول الله، ﷺ، بمن معـــه مـــن المسلمين، فاقتتلوا بحنين، فنصر الله دينه والمسلمين، وأعطى رسول الله ﷺ، يومئذ صفوان بن أمية مائة من النعم، ثم مائة، ثم مائة.

قال ابن شهاب: حدثني سعيد بن المسيب: أن صفوان قـــال: «والله لقد أعطاني رسول الله، ﷺ، ما أعطاني وإنه لأبغض الناس إلى فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إليَّ». رواه مسلم [٢].

فما أعظم تأثير هذا العطاء [٣] وما أعظم بركته!! لأنه كان في

(١) الإمام مسلم — صحيح مسلم ٤/ ١٨٠٦ كتاب الفضائل باب ما سئل رسول الله، ﷺ، شيئًا قط فقال لا. وكثرة عطائه.

(٢) الإمام مسلم، صحيح مسلم ٤/ ١٨٠٦ كتاب الفضائل باب ما سئل، ﷺ، شيئًا قط فقال لا. وكثرة عطائه.

(٣) ذكرت بعض كتب التفاسير والسير [أن اعرابيًا جاء إلى رسول الله، ﷺ، يطلب =

موضعه فكان دواءً شافيًا لأعظم داء، ولكن هل كل عطاء مـــا لا قيمة لا، ولا أثر له، إما لعيب ولؤم في الآخذ، أو لأن المعطي رأى أن الحكمة عدم العطاء، اتكالاً على أمر آخر أقوى أثرًا من العطاء المالي.

٣- عن عبد الله بن زيد بن عاصم قال: «لما أفاء على رسوله، ﷺ، قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم، و لم يعط الأنصار شيئًا، فكأنهم وجدوا إذ لم يصبهم ما أصاب الناس، فخطبهم فقال: **يـــا معشـــر الأنصار – ألم أجدكم ضلالاً فهداكم الله بي؟ وكنـــتم متفـــرقين فألفكم الله بي؟ وعالة فأغناكم الله بي؟ كلما قال: شيئًا قالوا: الله ورسوله أمن. قال: ما يمنعكم أن تجيبوا رسول الله، ﷺ**، قـــال: كلما قال: شيئًا قالوا: الله ورسوله أمنّ، قال: **لو شئتم لقلتم جئتنا**

=

منه شيئًا فأعطاه قال أحسنت إليك؟ قال الأعرابي لا ولا أجملت! فغضب المسلمون وقاموا إليه فأشار إليهم فأشار إليهم ان كفوا ثم دخل منزله وأرسل إلي الأعرابي وزاده شيئًا ثم قال: أحسنت إليك قال نعم فجزاك الله من أهل ومن عشيرة خيرًا فقال له النبي، ﷺ: إنك قلت ما قلت وفي نفس أصحابي شيء من ذلك فإذا أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي، حتى يذهب من صدورهم ما فيها عليك، قال نعم فلما كان الغداة جاء فقال له النبي، ﷺ،إن هذا الأعرابي، قال ما قال فزدناه فزعم أنه رضي أفكذلك ، فقال الأعرابي نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرًا. فقال النبي، ﷺ، مثلي ومثل هذا الأعرابي كمثل رجل كانت له ناقة شردت عليه، فتبعها الناس فلم يزدها إلا نفورًا، فناداهم صاحب الناقة خلوا بيني وبين ناقتي فإني أرفق بها وأعلم، فتوجه لها صاحب الناقة من بين يديها، فأخذ لها من قمام الأرض فردها هونًا، حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها، وإني لو تركتكم حيث قال الرجل فقتلتموه دخل النار» في ظلال القرآن ٦/ ٣٨٩١. فهذه الحكمة التي يحتاجها الدعاة التي بها يتحول الفرد من شارد إلى مقبل راغب.

كذا، وكذا ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وتذهبون بالنبي، ﷺ، إلى رحالكم؟ لولا الهجرة لكنت امرءًا من الأنصـــار، ولو سلك الناس واديًا وشعبًا، لسلكت وادي الأنصار وشعبها، الأنصار شعار والناس دثار» أخرجه البخاري (١).

وفي رواية أخرى عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: «ناس من الأنصار حين أفاء الله على رسوله، ﷺ، ما أفـــاء، مـــن أموال هوازن، فطفق النبي، ﷺ، يعطي رجالاً المائة من الإبل فقالوا: «يغفر الله لرسول الله، ﷺ، يعطي قريشًا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم».. الحديث أخرجه البخاري (٢).

فهنا عطاء للمؤلفة قلوبهم، وهنا منع، فلم يعط الأنصار شـــيئًا، لأنه ادخر لهم شيئًا أعظم من هذا العطاء الظاهري، ولأنه وكلـــهم إلى قوة إيمانهم، التي تدفعهم إلى تصديق ما وعد الرسول، ﷺ.

والعطاء هنا كان في محله ومكانه، فجلب القلوب نحو الرسول، ﷺ، والمنع أيضًا بعد إيضاحه، كان سبب فخر الأنصار واعتزازهم به، فهم الشعار وغيرهم الدثار، وهـــم يـــذهبون بالرســـول، ﷺ، وغيرهم يذهب بالشاة والبعير، ولذلك بعد سماعهم هذه المعاني بكوا حتى أخضلوا لحاهم (٣) – رضوان الله تعالى عليهم أجمعين .

---

(١) صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري لابن جر ٨/ ٤٧ كتاب المغازي باب غزوة الطائف.

(٢) صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري ٨/ ٥٢.

(٣) ابن حجر، فتح الباري ٨/ ٥٢.

ثم لما اختل المعنى الموجود فيمن كان يعطـيهم الرسـول، ﷺ، وانتفت الحكمة في عطائهم، منعهم عمر بن الخطاب – رضـي الله عنه .

٤– عن ابن سيرين، عن عبيدة قال: «جاء عيينة بن حصـن، والأقرع بن حابس إلى أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – فقالا: يا خليفة رسول الله عندنا أرض سبخة ليس فيها كلأ ولا منفعة فإن رأيت أن تقطعناها فاقطعهما، وكتب لهما عليهما، وأشهد عمـر وليس في القوم، فانطلقا إلى عمر ليشهداه فلما سمع عمـر مـا في الكتاب تناوله من أيديهما وتفل فيه ومحاه، فتذمرا وقالا له مقالـة سيئة قال: إن رسول الله، ﷺ، كان يتألفكما والإسلام يومئذ قليل، وإن الله قد أعز الإسلام إذهبا واجهدا على جهدكما، لا رعى الله عليكما إن رعيتما» (١).

ففي رأي عمر بن الخطاب – رضي الله عنـه – أن إعطـاء المؤلفة قلوبهم ليس على إطلاقه، بل هو مقيد بتحقق المصلحة، فمتى انتفت المصلحة وأصبح الإسلام قويًا بجنده فلا حاجـة إلي تـأليف هذه القلوب، وبالتالي فتنتفي الحكمة منه، ويمتنع العطاء، وهو رأي يدور مع العلة والحكمة وجودًا وعدمًا، وقد وافقه عليه جمع مـن العلماء، لكن الذي يهمنا هنا هو مسألة الحكمة في الدعوة إلى الله، فمتى كان العطاء نافعًا أو بعبارة أوسع متى كانت الوسيلة نافعـة،

(١) ابن الجوزي، تاريخ عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – ص ٦٠ وانظر تفسير الطبري بتحقيق محمود شاكر ٤/ ٣١٥.
ومختصر تفسير ابن كثير لمحمد نسيب الرفاعي ٢/ ٣٤٨.

يعمل بها، ومتى كانت الوسيلة لا قيمة لها، أو قد تؤدي إلى نتـــائج عكسية، إذ قد تدفع هؤلاء إلى استمرار الاستعلاء على المســـلمين، وعندها لا تكون هذه الوسيلة محققة للغاية، وبالتالي تفقــد معـــنى الحكمة، بل تكون ضعفًا وذلاً وهوانًا أمام الآخرين.

المهم من هذا هو فهم فقه الدعوة، وتحقيق مصـــلحة أهـــداف الداعي إلى الله، بالحكمة المطلوبة، التي تتغير مع تغـــير الظـــروف والأحوال، ولا يدرك هذا إلا من أوتي الحكمة، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا.

الصورة الرابعة:

من منهج الدعوة النقد وتقويم الأخطاء، وليس المقصـــود هـــو تصحيح خطأ الفرد المعين، الذي وقع منه الخطأ، ولكن المقصـــود تنبيه المخطئ وغيره أيضًا، حتى لا يقع في مثل خطئه. فيتكرر الخطأ مرة أخرى، من شخص آخر، وليس المقصود تجـــريح الأشـــخاص لأخطائهم، فكل يخطئ ويصيب، ولكن الهدف هو الاستفادة مـــن هذا الخطأ بين يدي الرسول، ﷺ، الكبير منها والصـــغير، وكـــان يتعامل بالتصريح والتلميح، وفق منهج حكيم وسنشير إلي بعض من هذه المواقف، ولنبدأ بموقف قرآني، وتتلوه مواقف من السيرة.

١ – عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: «لمـــا نزلـــت، وأنذر عشيرتك الأقربين» ورهطك منهم المخلصين، خرج رســـول الله، ﷺ، حتى صعد الصفا فهتف «**يا صباحاه**» فقالوا من هذا؟

فاجتمعوا إليه فقال: **أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلاً تخرج مـــن**

سفح الجبل، أكنتم مصدقي؟ قالوا: ما جربنا عليك كذبًا!! قـــال: **فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد،** قال أبو لهب: تبا لك مـــا جمعتنا إلا لهذا؟ ثم قام، فنزلت: «تبت يدا أبي لهب» وقد تب هكذا قرأها الأعمش يومئذ». أخرجه البخاري [1].

٢- عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: «مر النبي، ﷺ، بحائط من حيطان المدينة – أو مكة – فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما، فقال النبي، ﷺ: **يعذبان وما يعذبان في كبير** – ثم قال – بلي كان أحدهما لا يستتر من بوله، وكان الآخر يمشي بالنميمة ثم دعا بجريدة فكسرها كسرتين فوضع على كل قبر منهما كسرة. فقيل له يا رسول الله: لم فعلت هذا؟ قال: **لعله أن يخفف عنهما ما لم تيبسا أو إلى أن ييبسا**». أخرجه البخاري [2].

٣- عن أبي هريرة – رضي الله عنـــه – أن الـــنبي، ﷺ، رأى رجلاً لم يغسل عقبيه فقال: «**ويل للأعقاب من النـــار**» أخرجـــه مسلم [3].

٤- عن أبي جحيفة – رضي الله عنه – قال: «كنـــت عنـــد

---

(١) البخاري، صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري لابن حجر ٨/ ٧٣٧. كتاب التفسير باب سورة (تبت يدا أبي لهب وتب).

(٢) البخاري صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري لابن حجر ج ١ ص ٢١٧ كتاب الوضوء باب من الكبائر أن لا يستتر من بوله.

(٣) الإمام مسلم، صحيح مسلم ١/ ٢١٤ كتاب الطهارة باب وجوب غسل الرجلين بأكملهما.

النبي، ﷺ، فقال: **لا آكل وأنا متكئ**». أخرجه البخاري [(١)].

٥- عن عمران بن حصين - رضي الله عنه - قال: قال نـبي الله، ﷺ، «**يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفًا بغير حساب**. قـالوا: ومن هم يا رسول الله؟ قال: **هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون، وعلى ربهم يتوكلون**، فقام عكاشة بن محصن فقال: «**ادع الله أن يجعلني منهم** قال: أنت منهم، قال: فقام رجل فقال: يا نبي الله ادع الله أن يجعلني منهم قال: **سبقك بها عكَّاشة**» أخرجه مسلم [(٢)].

٦- في حديث الثلاثة الذي خلفوا حديث كعب بن مالك - رضي الله عنه - وهو يصف ما جرى له، إلى أن قال: «ولم يذكرني رسول الله، ﷺ، حتى بلغ تبوك، فقال: وهو جالس في القوم بتبوك: **ما فعل كعب**؟ فقال رجل من بني سلمة: يا رسول الله حبسه براده ونظره في عطفيه، فقال معاذ بن جبل: بئسما قلت، والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيرًا فسكت رسول الله، ﷺ، .. الحـديث» أخرجه البخاري [(٣)].

هذه مواقف أولها هجوم صريح كاسح على رجل وامرأته، مع وصفه بأوصاف التصقت به وبزوجته، فلم تفارقه حيًا وميتًا، فـلا

---

(١) الزبيدي، مختصر البخاري «التجريد الصريح» ص ٤٤٤ كتاب الأطعمة حديث رقم ١٨٩٤.

(٢) الإمام مسلم - صحيح مسلم ١/ ١٩٨ كتاب الإيمان باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين بغير حساب ولا عذاب حديث رقم ٣٧١.

(٣) الإمام البخاري، صحيح البخاري ٥/ ١٣١ كتاب المغازي باب حديث كعب بن مالك وقول الله - عز وجل: ﴿**وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا**﴾.

إبهام ولا إجمال في هذا المذنب المجرم الأثيم.

ثم تأتي بعد ذلك مواقف، نلحظ فيها الإبهـــام وعـــدم ذكـــر المذنب، فمن هم أصحاب القبرين؟ لا أحد يعرف، وإذا وجد مـــن يعرف لكنه لا يتحدث عن أسمائهما، ثم إن الرســـول، ﷺ، يـــرى رجلاً قدمه تلوح، هذا الرجل أمامه، وأبو هريرة حاضر القصـــة – كما يفهم من روايته للحديث – ومع ذلك لا يذكر بـــأكثر مـــن «رجل» ومثله الذي أكل متكئًا، أما حديث عكاشـــة، وحـــديث كعب – رضي الله عنهما – فقد جمع كل حديث موقفين جميلين، فإن عكاشة يصرح باسمه وبنسبه لأن الرسول، ﷺ، حقق له طلبه، أما الآخر «فرجل» فقط، لأن الرسول، ﷺ، رده وبالتالي فـــالأولى أن لا يعرف اسمه، ومثله أيضًا حديث كعب، فإنه تضمن رجلـــين أحدهما نال من كعب، فلم يذكر اسمه، بل قيل: «رجل مـــن بـــني سلمة». أما الذي أثنى على كعب ودافع عنه، فلا يكفي أن يقـــال رجل، بل سمي ونسب فهو «معاذ بن جبل» رضي الله عنه.

وهذا ليس من قبيل المصادفة، وهو التصريح والتلميح بالأسماء، بل هو منهج يسير عليه الداعية الحكيم، يقول ابن حجر – رحمه الله تعالى – وهو يتحدث عن حديث اللذين يعذبان في قبورهمـــا: «لم يعرف اسم المقبورين ولا أحدهما، والظاهر أن ذلك كان عن عمد من الرواة لقصد الستر عليهما، وهو عمل مستحسن، وينبغي أن لا يبالغ في الفحص عن تسمية من وقع في حقه ما يذم به»[1].

(١) ابن حجر فتح الباري ج١ ص ٣٢٠.

ولكن لسائل أن يقول: لماذا صرح بأبي لهب وزوجته؟ ونقول: إن هذا التصريح هنا، حقق إعجازًا قرآنياً عظيمًا، يقول محمد متولي الشعراوي: عن هذه الآية «هذا قرآن وفي من؟ في عم الرسول، ﷺ، وفي من؟ في عدو الإسلام! ألم يكن أبو لهب، يستطيع أن يحـــارب الإسلام بهذه الآية؟ ألم يكن يستطيع أن يستخدمها كسلاح ضـــد القرآن؟ ضد هذا الدين، قالت له الآية يا أبا لهب، إنك ســـتموت كافرًا، ستموت مشركًا، وستعذب النار، وكان يكفي أن يـــذهب أبو لهب، إلى أي جماعة من المسلمين، ويقول أشهد أن لا إلـــه إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله، ﷺ، يقولها ثم يقف وسط القوم، يقول: إن محمدًا قد أنباكم أنني كافر. وقال: إن هذا كلام مبلغ له من الله، وأنا أعلن إسلامي لأثبت لكم، أن محمدًا كاذب. لو كان أبو لهب يملك ذرة واحدة من الذكاء، لفعل هذا، ولكن حتى هـــذا التفكير، لم يجرؤ عقل أبي لهب على الوصول إليه، بل بقي كـــافرًا مشركًا، ومات وهو كافر، ولم يكن التنبؤ، بأن أبا لهب ســـيموت كافرًا أمرًا ممكنًا، لأن كثيرًا من المشركين اهتـــدوا إلى الإســـلام، كخالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعمر بن الخطاب، وغيرهم، كانوا مشركين وأسلموا، فكيف أمكن التنبؤ بأن أبا لهب بالـــذات لن يسلم ولو نفاقًا، وسيموت وهو كافر، المعجزة هنا، أن القـــرآن قد أخبر بما سيقع من عدو وتحداه في أمر اختياري، كان من الممكن أن يقوله، ومع ذلك هناك يقين، أن ذلك لن يحـــدث، لمـــاذا؟ لأن الذي قال هذا القرآن، يعلم أنه لن يأتي في عقل أبي لهـــب تفكـــير

يكذب به القرآن هل هناك إعجاز أكثر من هذا؟» [1].

فهو عدو وعداوته متحققة لن تنتهي، هذه واحدة، والأخـــرى تحقق الإعجاز القرآني، أمران سوغا التصريح باسمه، والعلم عند الله سبحانه وتعالى.

فالحكمة في الدعوة إلى الله – ســبحانه وتعــالى – تقتضــي التصريح في وقت يكون التصريح أعظم فائدة ولا يتسبب في نتائج عكسية مضرة، وإلا فالتلميح يحقق المصالح، ويدرأ المفاسد، ويـــدل على الحكمة والرشاد، ويحمي الأعراض ويصـــون النفـــوس مـــن التجريح.

(١) محمد متولي الشعراوي معجزة القرآن ج١ ص ١١٥.

خاتمة

وبعد:

فإن بحث الحكمة في الدعوة إلى الله – سبحانه وتعالى – عرفنا من خلاله معنى الحكمة في اللغة، وتعدد معانيها في القرآن الكـــريم والسنة النبوية، ثم تعريفها في الاصطلاح، ثم توصلنا إلى سعة معـــنى الحكمة في مجال الدعوة، وإن إطلاق هذا المعنى بلا قيود يحد مـــن حرية الداعي إلى الله، وهو في حقيقته إعجاز قرآني برز من خـــلال رسم منهاج واسع لهذا المعنى شرحته وأوضحته الســـيرة العمليـــة للرسول، ﷺ.

ثم عرفنا أيضًا أن الحكمة وإن كانت من مراتب الدعوة إلى الله – سبحانه وتعالى – فهي أيضًا تتقدم على كل المراتب الأخـــرى، وتغني عنها، وتؤدي معناها عند عدم ذكرها، فهي مرتبة ســـابقة، وفائقة في آن واحد.

ثم كان الشروع في سرد نماذج من السيرة العملية للرســـول، ﷺ، وقليل جدًا من سيرة الصحابة – رضوان الله تعالى علـــيهم – ركزنا خلالها على جمع الصورة المختلفة في رد الفعل أو في إجابـــة السائلين، وإن اتحد السؤال، وكان يظن بها التباين والخلل، لكـــن عندما ينتظم عقدها في صورة واحدة، تتجلى فيها إشراقة الحكمـــة الدعوية، التي يرعاها ويؤصلها النبي، ﷺ، في سيرته.

لقد ذكرنا صورًا متعددة في اختلاف الشخص المدعو، والذي تتأثر به الأساليب والموضوعات وغيرها. ونقلنا تعليقـــات بعـــض

العلماء حول هذه المواقف، لتسند وجهة النظر التي لأجلها جمعــت هذه النصوص النبوية، ثم أتبعنا هذا بذكر صورة مختلفة من سيرته، ﷺ، وبعض الصحابة، مثل أبي بكر – رضي الله عنه – وجعفر بن أبي طالب – رضي الله عنه – أوضحنا فيها قضية مهمة من قضايا الدعوة، ألا وهي التنازل عن بعض الأمــور لصــالح الــدعوة، أو التدرج في الدعوة إلى الله – سبحانه وتعــالى – وكيــف رفــض الرسول، ﷺ، أن يقبل أي تنازل في بعض مواقف الدعوة، لكنه في مواقف أخرى كان لا يتردد في ذلك على الرغم من اعتراض عدد من الصحابة على ذلك، كما حصل في مداولات كتابــة صــلح الحديبية.

ثم كان آخر المباحث عن الحكمة في الدعوة إلى الله، باختلاف الوسيلة، وما يحيط من ظروف زمانية أو مكانية، يكون لها تأثيرها، وذكرنا في هذا المقام العديد من الصور، التي كان الرســول، ﷺ، يقيم لكل ظرف اعتباره، فكانت مواقفه كلها حكمة، أثبتت الأيام عمق هذه الحكمة، وبعد هذا الفقه الدعوي فيها فكانت وسائله في الدعوة تختلف من زمان إلى آخر، ومن مكان إلى آخــر، يراعــي حاجة النفس البشرية وضعفها، فلا تستطيع أن تحتمــل الموعظــة لوقت طويل، ولا أن تستمع وهي منشغلة بأمور أخرى، جوعًا أو احتقانًا، ويوجه إلى أن يقدم دائمًا لكل فرد مــا يلائمــه أســلوبًا وموضوعًا.

فكان عطاؤه، ﷺ، لحكمة، وكان منعه لحكمة، وكان له أعظم الأثر كما سبق أن أشرت في مكانه، من ذلك موقفه مــع المؤلفــة

قلوبهم، ومع الأنصار – رضوان الله تعالى عليهم – وكـــان آخـــر الصور موقف التصريح والتلميح، الذي يخضع لطبيعـــة الموقـــف، وتحقيق المصلحة والمفسدة.

ولقد خرجت من هذا البحث – وإن كنت أدرك أنها خطـــوة لابد أن تتلوها خطوات في هذا الطريق – بنتائج مفيدة أهمها:

١- عظمة هذا النبي، ﷺ، في سيرته، التي لا يخفى منها شـــيء كما يقول أحد المستشرقين: «إن محمدًا هو الرجل الوحيد، الـــذي يعيش تحت ضوء الشمس» لأن سيرته كانت واضـــحة لا ســـقط فيها، ولا جهالة وهي مع ذلك عظيمة، لما فيها من الحكمة وتقدير كل المواقف، والصبر، والتحمل مما يمنح المتتبعين لسيرته وقودًا قويًا ودافعًا عظيمًا لمواصلة السير في هذا الطريق.

٢- أهمية العلم الشرعي، الذي لا غنى عنه للداعية، وبـــدون العلم فطريقه مليء بالمتاهات والضلالات.

٣- أهمية الاطلاع على السيرة النبوية، القولية والعمليـــة، ولا غنى عن ذلك لكل مسلم، وللداعية خاصة.

٤- مرونة هذا الدين الذي يعايش الظروف والأحوال.

٥- ثبات هذا الدين ورسوخه، فلديه من الأسس والقواعـــد الثابتة التي تحيط السائر فيه بسياج يحميه من الزيغ والضلال.

٦- تكريمه للمسلم، عندما يشعره بقيمته وتقـــدير تفكـــيره وعقله، وحثه على تقدير الموقف بنفسه، بلا قيود شـــديدة عليـــه

تشعره بمساواته بغير العقلاء.

وختامًا أسأل الله – سبحانه وتعالى – أن يجعل في هذا البحث نفعًا لكاتبه وقارئه، وأن يجعله من العلم النافع، ومن الحجة والنـــور والبرهان لصاحبه في الدنيا والآخرة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، ســـبحان ربـــك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين.

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَـــا بِـــهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُـــرْنَا عَلَـــى الْقَـــوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

فهرس المراجع

١- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، تأليف ابن قيم الجوزية تحقيق: محمد حامد الفقي. دار المعرفة ببيروت.

٢- بذل المجهود في حل أبي داود المحدث الشيخ خليل بن أحمد الهارنفوري. دار الكتب العلمية ببيروت.

٣- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الـــدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي. المكتبة العلمية ببيروت.

٤- البيان والتعريف في سبب ورود الحديث، أبو حمزة الحسيني الحنفي الدمشقي، تحقيق: الدكتور الحسيني عبد المجيد هاشـــم، دار الكتب الحديثة — القاهرة.

٥- تاريخ عمر بن الخطاب للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بـــن على الجوزي، دار إحياء علوم القرآن، دمشق.

٦- تأملات في سيرة الرسول، ﷺ، محمد السيد الوكيـــل، دار المجتمع للنشر — جدة الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

٧- تفسير البحر المحيط، محمد بن يوسف أبو حيان الأندلسي، دار الفكر الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ.

٨- تفسير الطبري، الإمام الطبري، طبعة دار المعرفة، بيروت.

٩- تفسير الطبري، «جامع البيان في تأويل القـــرآن» تحقيـــق محمود محمد شاكر.

١٠- تفسير القرآن العظيم، أبو الفدا إسماعيل بن كـــثير، دار الفجر.

١١- التفسير القيم، ابن قيم الجوزية، جمعـــه محمـــد أويـــس الندوي، حققه: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية – ببيروت.

١٢- التفسير الكبير، الفخر الرازي، دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة الثالثة.

١٣- تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كـــثير، محمـــد نسيب الرفاعي، مكتبة المعارف – الرياض الطبعة الخامسة ١٤٠٨ هـ.

١٤- روائع من أدب الدعوة في القرآن والسيرة . أبو الحســـن الندوي، دار القلم الكويت – الطبعة الثانية ١٤٠١هـ.

١٥- زاد الداعية إلى الله . محمد بن صالح العثيمين، مطـــابع المدينة بالرياض.

١٦- زاد المعاد في هدي خير العباد. ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة – بيروت الطبعة الثامنة ١٤٠٥ هـ.

١٧- سلسلة الأحاديث الصـــحيحة، وشـــيء مـــن فقههـــا وفوائدها، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي.

١٨- سنن أبي داود، للأمام أبي داود سليمان بـــن الأشـــعث السجستاني، مراجعة وتعليق: محمد محيي الدين عبد الحميـــد، دار الفكر.

١٩- السنن الكبرى، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقـــي، دار الفكر.

٢٠- سيرة النبي، ﷺ، لأبي محمد عبد الملك بن هشام، تحقيق: محمد محيي الدين عبد المجيد، توزيع رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد — الرياض.

٢١- صحيح ابن خزيمة، الإمام أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق: الدكتور محمد مصطفي الأعظمي، المكتب الإسلامي — بيروت ١٤٠٠ هـ.

٢٢- صحيح البخاري، أبو عبد الله محمـــد بـــن إسماعيـــل البخاري، المكتبة الإسلامية استانبول — تركيا ١٩٨١م.

٢٣- صحيح الجامع الصغير وزيادته، محمـــد ناصـــر الـــدين الألباني، الطبعة الثالثة ١٤٠٢هـ المكتب الإسلامي — بيروت.

٢٤- صحيح سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

٢٥- صحيح سنن ابن ماجة، محمد بن ناصر الدين الألبـــاني، مكتب التربية العربية لدول الخليج، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ.

٢٦- صحيح سنن أبي داود، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة التربية العربي لدول الخليج — الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

٢٧- صحيح مسلم، للإمام مسلم بـــن الحجـــاج القشـــيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد، مطبعة دار إحياء الكتب العربية.

٢٨- فتاوى ورسائل، لسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم جمـــع وترتيب محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، الطبعـــة الأولى – مطبعـــة الحكومة بمكة المكرمة ١٣٩٩هـ.

٢٩- فتح الباري شرح صحيح الإمام البخاري، للإمام الحافظ أحمد بن حجر بن على بن حجر العسقلاني. نشر وتوزيع رئاســـة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

٣٠- الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمـــد بـــن حنبـــل الشيباني، مع شرحه بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني، أحمد بن عبد الرحمن البنا، دار الشهاب – القاهرة.

٣١- فقه السيرة. محمد الغزالي خرج أحاديثها محمـــد ناصـــر الدين الألباني، دار القلم – دمشق ١٤٠٢هـ.

٣٢- في ظلال القرآن الكريم. سيد قطب، دار الشـــروق – بيروت، الطبعة عشرة ١٤٠٧هـ.

٣٣- القاموس الفقهي لغة واصطلاحًا، سعدي أبو جيب، دار الفكر – دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ.

٣٤- القاموس المحيط. مجد الدين محمد بن يعقـــوب الفـــيروز أبادي. المؤسسة العربية للطباعة والنشر – بيروت.

٣٥- القواعد النورانية الفقهية. شيخ الإسلام ابـــن تيميـــة، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الندوة الجديدة – بيروت.

٣٦- الكلام على مسألة السماع. ابن قيم الجوزية، تحقيـــق:

الدكتور راشد الحمد، دار العاصـــمة – الريـــاض الطبعـــة الأولى ١٤٠٩هـ.

٣٧- لسان العرب. أبو الفضل جمال الدين محمد بن منظـــور، دار صادر – بيروت.

٣٨- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بـــن تيميـــة. جمـــع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، أِشرف علـــى الطباعـــة المكتب التعليمي السعودي بالمغرب، مكتبة المعارف بالرباط.

٣٩- مختصر سنن أبي داود، للحافظ المنـــذري، دار المعرفـــة بيروت.

٤٠- مختصر صحيح البخاري «التجريد الصريح» الإمام زين الدين أحمد بن عبد اللطيف الزبيدي، دار النفائس – بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ.

٤١- المستدرك على الصـــحيحين. أبـــو عبـــد الله الحـــاكم النيسابوري، وبذيله التلخيص للحـــافظ الـــذهبي، دار المعرفـــة – بيروت.

٤٢- مسند الإمام أحمد، دار صادر بيروت.

٤٣- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. أحمد بن علـــى المقري الفيومي، المطبعة الأميرية – القـــاهرة، الطبعـــة السادســـة ١٩٥٦م.

٤٤- معالم السنن. أبو سليمان الخطابي. توزيع رئاسة إدارات

البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد. تحقيق: أحمد شـاكر ومحمد الفقي.

٤٥- معجزة القرآن. محمد متولي الشعراوي، مكتبة التـراث الإسلامي – القاهرة.

٤٦- معجم لغة الفقهاء د. محمد رواس، ود. حامد صـادق قينبي، دار النفائس – بيروت. الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ.

٤٧- معجم مقاييس اللغة. أبو الحسن أحمد بن فـارس بـن زكريا، دار إحياء الكتب العربية. عيسي البابي الحلبي وشـركاه – القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٦٦هـ.

٤٨- ندوة اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر، مكتب التربيـة العربي لدول الخليج، ١٤٠٧هـ. وفيه بحث للدكتور خورشيد أحمد، بعنوان: طبيعة الدعوة الإسلامية.

٤٩- وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان. أبو العبـاس شمـس الدين أحمد بن خلكان، تحقيق: الدكتور إحسان عباس، دار صادر – بيروت.

فهرس الموضوعات